

سُورَةُ الْبَقَرَةِ



النَّزُولُ: مَدْنِيَّةٌ.

فضائل السورة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأييان يوم القيمة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صوافٍ، تُحاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة. فإن أخذها بركة، وتذكرها حسنة، ولا يستطيعها البطلة»، وقال معاوية رضي الله عنه: بلغني أنَّ البطلة السحرة.

(صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم ٨٠٤).

الزهراوان: المنيرتان. **والغياثان:** الغياثة: كل شيء أظلَّ الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر. إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». (صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة، برقم ٧٨٠).

وأخرج الشيخان بسنديهما عن أُبي بن حبيب رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكت فسكت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ، فجالت الفرس، فانصرف. وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّ رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: أَقْرَأْ يا بن حبيب، أَقْرَأْ يا بن حبيب، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء،

فإذا مثل الظلّة فيها أمثال المصايبح، فخرجت حتى لا أراها، قال: **وتدري ماذا؟** قال: لا، قال: تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتواري منهم.

(صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة، ٩٣/٩ برقم ٥٠١٨. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، برقم ٧٩٦. واللفظ للبخاري). ومعنى جالت: دارت.

المقصود:

- ١ - القرآن هداية للمؤمنين به.
- ٢ - بيان صفات المتقين.
- ٣ - توحيد العبودية باجتماع العبادة القلبية والبدنية.
- ٤ - بيان ثمرة الإيمان.
- ٥ - اجتماع أركان الإيمان الستة.
- ٦ - تقرير الإيمان بالغيب.
- ٧ - تقرير معجزات الأنبياء.
- ٨ - تقرير الإيمان بالكتب السماوية.
- ٩ - تقرير عقيدة البعث.
- ١٠ - إقامة الحجج على صدق رسالة نبينا محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين.
- ١١ - دعوة أهل الكتاب إلى التوحيد.
- ١٢ - بيان كثير من أحكام العبادات والمعاملات.
- ١٣ - الوصية بالعفو والتسامح بين المسلمين ومع غيرهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَ ۚ ذَلِكَ الْكِتَبُ لَا رَبَّ لَهُ ۖ هُدَى لِلنَّاسِ ۗ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَنَاهُمْ يُفْعِلُونَ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۚ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾

التفسير:

١ - ٥. هذه الحروف المقطعة العربية التي تشير إلى الإعجاز البياني نزل بها هذا القرآن العظيم الذي لا شك فيه، ومهما تخطّط الجاحدون والمرشكون فلا يفهون برకاته، ولا يتذوقون حلاوته، أما الذين يحدرون ارتكاب الجرائم والمحرمات فإنّهم يستلهمون هدایاته بتصديقه وتعظيمه والعمل به، هؤلاء يتميّزون بصفات عالية، فهم يُصدّقون بعظمة الخالق واليوم الآخر، ويحافظون على إقامة الصلاة باستيفاء أركانها وشروطها، ويتصدّقون من أموالهم للمستحقين والمحاججين، ويُصدّقون بهذا القرآن وبالوحى الذي نزل به جبريل على الصادق الأمين نبينا رسول الله ﷺ، ويُصدّقون بما أنزل من الكتب والصحف على الأنبياء والمرسلين، ويُصدّقون ببيوم القيمة وما فيه من الحساب والجزاء. هؤلاء أصحاب الدرجات العالية والمقامات الغالية، هم الفائزون بالنعيم المقيم، والأجر الكبير.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ -** تسمية السورة بسورة البقرة إشارة إلى قصة البقرة وما فيها من تعنت اليهود، وتشددهم في الحوار.
- ٢ -** الإشارة إلى الإعجاز البياني للقرآن بذكر الحروف المقطعة. قال

الشوکانی : «وقال قطرب ، والفراء ، وغيرهما : هي إشارة إلى حروف الهجاء ، أعلم الله بها العرب حين تحدّاهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي بناه كلامهم عليها ؛ ليكون عَجْزُهُم عنـه أبلغ في الحجة عليهم ؛ إذ لم يخرج عن كلامهم». (فتح القدير ١٦/١).

٣ - بيان أنَّ من أخص خصائص التربية القرآنية وَصَلَ العلم النافع بالعمل الصالح ، والقوة العلمية بالقوة العملية ، فهديُ القرآن للمتقين في بيان الصراط المنجي ، وفي حث السير عليه .

٤ - وجوب التصديق بالقرآن الكريم .

٥ - بيان أنَّ أهل الهدایة والتقوی هم القدوة الصالحة في ميزان القرآن ، وهم الذين جمعوا بين هداية البيان وهداية التوفيق ﴿هُدًى لِّمُتَّقِينَ﴾ .

٦ - وَضَفُّ الْهَدِيَّ بِأَنَّهُ مِنْ رَبِّهِمْ؛ للتنويه بذلك الهدى وتشريفيه ، مع الإشارة بأنهم محل العناية من الله ، وكذلك إضافة الرب إليهم إضافة تعظيم لشأن المضاف إليه بالقرينة .

٧ - بيان أنَّ تربية الناس على سلوك الهدایة تتمُّ عن طريق تنمية العقل ، وتسديده بما يصلحه ، وهو الإيمان ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وبحماية الجوارح وقيامها بما ينفعها وهو الإسلام ﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وتغذية الروح بما يسمو بها وهو اليقين والإحسان ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ .

٨ - إنَّ التصديق بالغيب من عند الله تعالى هو إحاطة بعلوم المستقبل المذكورة في القرآن العظيم ؛ إذ ورد فيه أمور مستقبلية في الدنيا والآخرة ، وقد وقع بعضها ، وسيقع بعضها الآخر حسب وقت وقوعه في الدنيا والآخرة .

٩ - عظمة فَضْلِ الإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ، فقد روى أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، أَحَدُ خيرِ مَنْ؟ أَسْلَمْنَا وجاهَنَا مَعَكَ ، قال : «نعم ، قوم يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرُونِي» . (أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤/٨٥)، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٧/٦).

١٠ - وتصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف : مهتدين ومعاذنين

وَضَالِّينَ، مُثُلْ تَصْنِيفِهِمْ أَوْلَى الْبَقْرَةِ ثَلَاثَةً: مُتَقِّينَ، وَكَافِرِينَ - مُصَارِحِينَ وَهُمْ الْمَعَانِدُونَ - وَضَالِّينَ وَهُمُ الْمَنَافِقُونَ، وَإِجْمَالُهُمْ فِي الْفَاتِحةِ، وَتَفْصِيلُهُمْ هُنَّا، مِنْ بَدِيعِ الْأَسَالِيبِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الإِجْمَالِ ثُمَّ التَّفْصِيلِ.

١١ - وجوب الصلاة والزكاة، واقتران الصلاة بالزكاة جمع بين العبادة البدنية والمالية.

١٢ - وجوب الإيمان بالغيب.

١٣ - وجوب الإيمان بالكتب السماوية.

١٤ - مَنْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا تَنْفَعُ مَعَهُ الْهُدَايَا.

١٥ - جاء التعبير بالمضارع كما وقع في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ؛ ليشمل ذلك الذين أقاموا الصلاة فيما مضى، وهم الذين آمنوا من قبل نزول الآية، والذين هم بصدده إقامة الصلاة، وهم الذين يؤمنون عند نزول الآية، والذين سيهتدون إلى ذلك وهم الذين جاؤوا مِنْ بعدهم؛ إذ المضارع صالح لذلك كله. وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ جيء بالمسند إليه مُقدّماً على المسند الفعلي لإفادته تقوية الخبر؛ إذ هو إيقان ثابت عندهم من قبل مجيء الإسلام على الإجمال.

١٦ - أخرج ابن رسته في كتاب الإيمان بسنده الصحيح عن ابن مسعود قال: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. (أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، المستدرك ٤٤٦/٢، وصححه الحافظ ابن حجر، تغليق التعليق ٢٢/٢، والعيني، عمدة القاري ١٣٠/١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ إِنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ نُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾١ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غَشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾٢ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِنَّا يَأْمَنَ بِاللَّهِ
وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾٣ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا
يَسْعُرُونَ ﴾٤ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادُهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْرِزُونَ ﴾٥﴾

التفسير:

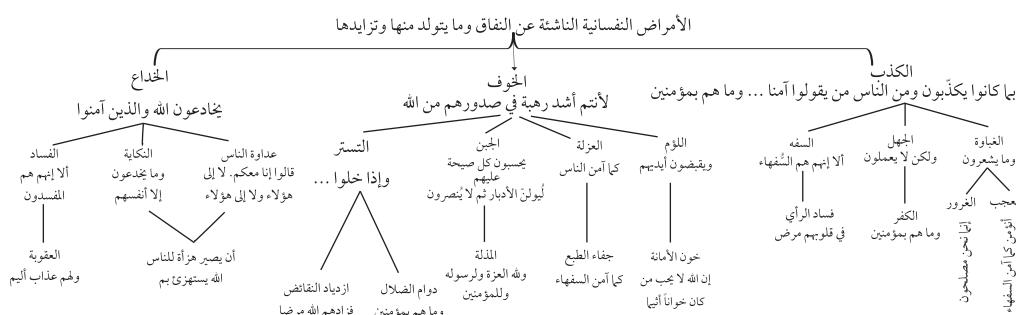
٦ - ٧ - يخبر الله تعالى أن الذين كذبوا الله تعالى ورسوله ﷺ لا ينفعهم واعظ، ولا يردعهم رادع؛ لم يكابر لهم وغباوتهم، وعذرًا للنبي ﷺ في الحرص على إيمانهم، فهم مستمرون على كفرهم في الحالتين: في حالة وغضفهم ودعوتهم، وفي حالة تركهم؛ لأن الله تعالى قد طبع على قلوبهم، فلا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ منها، فلا يدركون ما ينفعهم، وطبع على أسمائهم، فلا يسمعون ما يفيدهم، وجعل على أبصارهم غطاء يمنعهم من النظر الذي ينفعهم، وذلك عقوبتهم في الدنيا، وفي الآخرة لهم عذاب شديد الألم.

٨ - ٩ - وهذا الصنف من الناس هم المنافقون، كما سماهم الله تعالى في مطلع سورة المنافقون ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَتَهَّدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وفي هذه الآيات يحدّر الله من مكرهم، فهم يقولون: صدّقنا بالله تعالى وبيوم القيمة، ولكن هذا الإيمان لم يتجاوز الأفواه ولم يدخل القلوب، فهم كاذبون وليسوا بمؤمنين. وهذا الكذب منهم تحايل على الله تعالى وعباده المؤمنين بإضمار كفرهم وإظهار الإيمان، وضرر ذلك يعود على أنفسهم، ومن شدة جهلهم أنهم لا يحسّون بذلك.

١٠ - إن سبب الغفلة عن هذا الظاهر كون آل إدراكهم مريضة، شغلتها المرض عن إدراك ما ينفعها، فهي لا تجنب إلا إلى ما يؤذيها. في قلوبهم شك ونفاق وحقد، وبسبب ذلك ابتلاهم بالمعاصي اللاحقة التي يستحقون عليها العقوبة، ولهم عذاب موجع بسبب كذبهم.

الفوائد والاستنطارات:

- ١ - التحذير من المنافقين في كل زمان؛ لأنَّ هذه الصفات ملزمة لهم، فهي علامات تدل على نفاقهم.
 - ٢ - التنفيير من الاتصاف بخصال المنافقين.
 - ٣ - الإيمان لا يكفي فيه القول، بل لا بدَّ من تصديقه بالعمل.
 - ٤ - كذب المنافقين سبب في زيادة عذابهم.
 - ٥ - الكفر يعمي ويصمُّ.
 - ٦ - إنباء عن أمر مستقبلي بأنَّ الكفار الذين طُبِعَ على قلوبهم لا يؤمنون.
 - ٧ - مصير الكفار الخلود في النار.
 - ٨ - في الآية (٨) إخبار عن كذب المنافقين في الماضي والمستقبل.
 - ٩ - في الآية (٩) إخبار عن خداع المنافقين في الماضي والمستقبل.
 - ١٠ - إنَّ ذكر المنافقين في ثلات عشرة آية، وذكر الكافرين في آيتين فقط دليل على خطورة هذا الصنف، وفي الوقت نفسه بيان لجدلهم وما فيه من السخف، كما كشف عن الصفات التي تعترى بهم من الخوف والضعف.
 - ١١ - ابتدأت قصتهم بالتنبيه على ضعف عقولهم وخفة حلومهم، من حيث إنَّ مَحَطَّ حالهم أنهم يُخادعون مَنْ لا يجوز عليه الخداع.
 - ١٢ - قال ابن عاشور: «﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غَشْوَةً﴾» هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعالى: «﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» وبيان لسببه في الواقع؛ ليدفع بذلك تَعَجُّبَ المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم». (التحرير والتبيير: ٢٥٠ / ١).



١٣ - عَبَر بالسمع مفرداً لأنه مصدر بخلاف القلوب والأبصار، فإنَّ القلوب متعددة، والأبصار: جمع بصر الذي هو اسم لا مصدر. وفي تقديم السمع على البصر في موضعه من القرآن دليل على أنَّه أفضل فائدة لصاحب من البصر؛ فإنَّ التقديم مؤذن بأهمية المقدم، وذلك لأنَّ السمع آلة لتلقي المعرفات التي فيها كمال العقل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنَّ لَا يَشْعُرُونَ ﴾١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا آمَنُوا كَمَا ءاَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءاَمَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنَّ لَا يَعْلَمُونَ ﴾١٣﴾ وَإِذَا قَوْلُوا إِنَّمَا قَالُوا إِنَّمَا وَإِذَا خَوَلُوا إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعْكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْهِرُونَ ﴾١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهِنُ بِهِمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴾١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْأَضَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَحِتَ بِمُحَرَّرِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهَتَّدِينَ ﴾١٦﴾

التفسير:

١٢ - ١١ - ولما أخبر تعالى عن بواطنهم أتبعه من الظاهر ما يدلُّ عليه، فبَيْنَ أَنَّهُمْ إِذَا نَهُوا عَنِ الْفَسَادِ الْعَامَ ادَّعُوا الصَّالِحَ الْعَامَ بِقَوْلِهِ: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ» وبناؤه للمجھول إشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائناً مِنْ كان، فإذا نهى هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض كفُّل المعاصي أخذتهم العزة بالإثم، وادَّعوا بأنَّهُم مصلحون. ثُمَّ نبه الله تعالى على أنَّ هؤلاء هُم المفسدون، فكشفَ كذبَهُمْ، وبَيْنَ أَنَّهُمْ بسبب جهلهم لا يحسون بذلك. فردَّ عليهم بطريق من طرق القصر هو أبلغُ فيه من الطريق الذي قالوه؛ لأنَّ تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند إليه، فيفيد قوله: «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ» قصر الإفساد عليهم.. فإنَّ أفعالهم التي يتھجون بها، ويزعمونها منتهي الحدق والفتنة وخدمة المصلحة الخالصة آيلة إلى فساد عام لا محالة، إلا أنَّهم لم يهتدوا إلى ذلك لخفاهم، وللغشاوة التي أقيت على قلوبهم من أثر النفاق.

١٣ - وإذا نُصِحَّ هؤلاء المنافقون أن يُصَدِّقوا بِاللهِ تَعَالَى، كما صَدَّقَ المؤمنون بِمُحَمَّدٍ ﷺ، رفضوا واستنكروا، فعزَّمُوا على التبرؤ من الإيمان

على أبلغ وجه؛ إذ جعلوا الإيمان المتبرأ منه شبيهاً بإيمان الجهلة؛ تشنيعاً له وتعريضاً بال المسلمين، فنفي عنهم العلم، فظنُّهم أنَّ ما هم عليه من الكفر رُشْدٌ، وأنَّ ما تَقَلَّده المسلمون من الإيمان سفه، يدل على انتفاء العلم عنهم. وقالوا: أَنْصَدْتَ مِثْلَ تَصْدِيقِ الْجَهْلَةِ؟ فَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْجَهْلَةُ، وَمِنْ جَهَلِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ وَمَآلِهِمْ.

١٤ - ولَمَّا بَيَّنَ نِفَاقُهُمْ وَعَلْتَهُمْ وَسَيَرَتْهُمْ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِيِ إِلَى الْحَقِّ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، بَيَّنَ سِيرَتْهُمْ فِي أَقْوَالِهِمْ مُخَادِعِينَ بِقُولِهِ: ﴿وَإِذَا لَقُواٰ﴾ فَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِذَا اجْتَمَعُوا بِالْمُؤْمِنِينَ أَظَهَرُوا أَنَّهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَإِذَا انْفَرَدُوا بِزُعْمَاءِ الْكُفَّارِ أَقْرَأُوا بِأَنَّهُمْ عَلَى مَلَةِ الْكُفَّارِ، وَأَنَّ مَا يَقُولُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ هُوَ استخفافٌ وَسُخْرِيَّةٌ بِهِمْ.

وَأَمَّا قُولُهُمْ لِقَوْمِهِمْ ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ بِالْتَّأْكِيدِ، فَذَلِكَ لِمَا بَدَا مِنْ إِبْدَاعِهِمْ فِي النِّفَاقِ عَنْ لِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُوجِبُ شُكُّ كِبَرَائِهِمْ فِي البقاءِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَتَطْرُقُ بِهِ التَّهْمَةُ أَبْوَابَ قُلُوبِهِمْ، فَاحْتَاجُوا إِلَى تَأْكِيدِ مَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهُمْ بِاُقْوَنَ عَلَى دِينِهِمْ، وَكَذَلِكَ قُولُهُمْ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

١٥ - ١٦ - ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَقُوبَةَ اسْتَهْزَائِهِمْ: بِأَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيُمْهِلُهُمْ؛ لِيزدادُوا فِي فجورِهِمْ وَكُفُّرِهِمْ، وَهُمْ حَائِرُونَ. هُؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْبَعْدَاءُ عَنِ الْحَقِّ اسْتَبَحُوا الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَىِ، وَرَغَبُوا فِي الضَّلَالَةِ رَغْبَةَ الْمُشْتَرِيِ فِي السُّلْعَةِ الْخَاسِرَةِ، فَمَا كَسَبُوا شَيْئاً طَيِّباً، بَلْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنِ الْهُدَايَا، وَسَقَطُوا فِي الْغَوَايَا.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في الآية (١١ - ١٢) إخبار عن فساد المنافقين في الماضي والمستقبل.
- ٢ - في الآية (١٣) إخبار عن استهزاء المنافقين في الماضي والمستقبل.
- ٣ - في الآية (١٤) إخبار عن مكر المنافقين في الماضي والمستقبل.
- ٤ - المنافقون مفسدون في الأرض.
- ٥ - ولاء المنافقين لأسيادهم الطواغيت.
- ٦ - استهزاء المنافقين بالمؤمنين، والجزاء من جنس العمل.

- ٧ - إمهال الله تعالى المنافقين واستدراجهم بالنعم.
- ٨ - خسارة المنافقين في الدنيا والآخرة.
- ٩ - عدم استفادة المنافقين من النعم في سمعهم وعقلهم ولسانهم.
- ١٠ - سخافة عقول المنافقين.
- ١١ - المنافقون يتخطبون في حياتهم.
- ١٢ - قال الحرالي: «ولما كان حال الطمأنينة بالإيمان إصلاحاً، وجب أن يكون اضطرابهم فيه إفساداً، ولا سيما مع ظنهم أنَّ كونهم مع هؤلاء تارة ومع هؤلاء تارة من الحكمة والإصلاح، وهو عين الإفساد؛ لأنَّه بالحقيقة مخالف للهؤلاء وهؤلاء، فقد أفسدوا طرف الإيمان والكفر». (ينظر: نظم الدرر ٤٥/١).
- ١٣ - أغلب المفسدين في الأرض يزعمون دائماً أنَّهم مصلحون.
- ١٤ - وقد ذكر ابن عاشور مراتب فساد المنافقين:
- أولها:** إفسادهم أنفسهم بالإصرار على تلك الأدواء القلبية التي أشرنا إليها فيما مضى، وما يترتب عليها من المذام، ويتولد من المفاسد.
- الثانية:** إفسادهم الناس ببث تلك الصفات والدعوة إليها، وإفسادهم أبناءهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساوئهم، كما قال نوح ﷺ: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرُّهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].
- الثالثة:** إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع، كإلقاء التنميمة والعداوة، وتشعير الفتنة، وتأليب الأحزاب على المسلمين، وإحداث العقبات في طريق المصلحين. (التحرير والتوير: ٢٨٠/١).
- ١٥ - وقال أيضاً: «وجيء في قوله: ﴿الَّهُ يَسْهِزُهُمْ﴾ بإفاده التجدد من الفعل المضارع أي: تجدد إملاء الله لهم زماناً إلى أن يأخذهم العذاب.. وإنما أضاف الطغيان لضمير المنافقين ولم يقل: في الطغيان بتعريف الجنس، كما قال في سورة الأعراف (٢٠٢): ﴿وَلِخَوَانِهِمْ يَمْدُوْهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ إشارة إلى تفظيع شأن هذا الطغيان وغرابته في بايه، وأنهم اختصوا به حتى صار يعرف بإضافته إليهم. والموصول في قوله: ﴿الَّذِينَ أَشَرَّوا﴾ بمعنى المعرف بلا م الجنس، فيفيد التركيب قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر ادعائي

باعتبار أنهم بلغوا الغاية في اشتراء الضلال والحرص عليها، إذ جمعوا الكفر والسفه والخداع والإفساد والاستهزاء بالمهتدين». (التحرير والتنوير ٢٩٥/١، ٢٩٢، ٢٩٠).

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي أَسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَأَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَتِ لَا يُبَصِّرُونَ ﴿١٧﴾ صُمِّ بِكُمْ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصِيبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَتُ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي إِذَا هُم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتُ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكُفَّارِ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطُفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا آتَاهُمْ مَّشَأْ فِيهِ وَإِذَا أَطْلَمَ عَيْنَهُمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

التفسير:

١٧ - صفة هؤلاء المنافقين في إعلانهم الإسلام مثل صفة من كان في ليلة مظلمة، فاجتهد لطلب النور، فلما وجده أنار ما حوله، وانتفع به مدة وجيزة، ثم انطفأ، فصار في ظلام شديد لا يبصر، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لا يبصر، لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان.

١٨ - كما شبه حالهم بتمثيل آخر لنقرير المعنى، وكشف جوانب أخرى، إذ مثل لأحوال المنافقين المترددة بين جواذب ودوافع حين يجادب نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أغراق النفوس والسخرية بال المسلمين، بحال مطر من السماء احتللت فيه غيوب وأنوار ومزعجات وأكدار، جاء على طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه. (ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٠/١).

فالمعنى صفتهم كمثل قوم ساروا في ليلة مظلمة فيها مطر كثيف ذو ظلمات من السحب، يصاحبه رعد مخيف، وبرق وصواعق حارقة، يضعون أصابعهم في آذانهم من الخوف، وكلما لمع البرق رأوا الطريق فمشوا، فإذا ذهب البرق تحيروا، فكذلك المنافقون كلما تكلموا بكلمة الإخلاص أضاءت لهم فمشوا، وكلما شُكوا تحيروا، وتاهوا في الظلمات، فهم في خوف من

المؤمنين؛ لأنهم يحسبون كل صيحة عليهم، والله تعالى قد أحاط بهم علماً، وسيجازيهم على أعمالهم.

٢٠ - وهذا البرق يقارب أن يأخذ أبصارهم من شدة اللمع، فهم حتى في أثناء الإضاءة كانوا في خطر، وهذه الإضاءة تسعنهم قليلاً في المشي، فإذا ذهب هذا البرق وقفوا حائرين، ولو أراد الله تعالى لسلب سمعهم بعاصف الرعد، وأخذ أبصارهم بخاطف البرق، ثم علل ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أي: الذي له جميع صفات الكمال، هو قادر على ذلك، وعلى كل شيء.

الفوائد والاستنباطات:

١ - ضرب الأمثال القرآنية ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي أَسْتَوْدَ نَارًا﴾، ﴿أَوْ كَصَبَّ إِنَّ السَّمَاءَ﴾، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطُفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ من الأساليب التربوية النافعة في إقامة الحجة على الكافرين وفي تربية المؤمنين؛ لأنها تحقق مقصودين عظيمين، تقريب المعنى للمتدبر، والاعتبار بوجه الشبه بين المثل وما ضرب له. وفي ذلك تربية للعقل على المقايسة بين المحسوسات وال مجردات.

٢ - بيان اضطراب نفوس المنافقين.

٣ - تقرير عظمة قدرة الله تعالى.

٤ - لما فرغ من المثل كشف المراد بظلماتهم بأنها ما في آذانهم من الثقل المانع من الانتفاع بالسماع، وما في ألسنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشئ عن عدم الإدراك الناشئ عن عمى البصائر، وفساد الضمائير والسرائر.

٥ - والتمثيل منزع جليل بديع من منازع البلوغاء، لا يبلغ إلى محاسنه غير خاصتهم، وهو هنا من قبيل التشبيه لا من الاستعارة؛ لأنَّ فيه ذِكرَ المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، وهي لفظ ﴿مِثَل﴾، فجملة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي أَسْتَوْدَ نَارًا﴾ واقعة من الجمل الماضية موقع البيان والتقرير، فكان بينها وبين ما قبلها كمال الاتصال، فلذلك فصلت ولم تعطف.

٦ - وجمع الضمير في قوله: ﴿تُؤْرِهِمْ﴾ مع كونه راعى جانب الضمير المفرد في قوله: ﴿مَا حَوَّلَهُ﴾ مراعاة للحال المشبهة وهي حال المنافقين لا للحال المشبه بها، وهي حال المستوقد الواحد على وجه بديع في الرجوع

إلى الغرض الأصلي، وهو انطمام نور الإيمان منهم، فهو عائد إلى المنافقين لا إلى ﴿الَّذِي﴾.

٧ - واختيار لفظ النور في قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ دون الضوء دون النار؛ لأنَّ لفظ النور أنسَب، فالذِي يشبه النار من الحالة المشبهة هو مظاهر الإسلام التي يظهرُونها، وقد شاع التعبير عن الإسلام بالنور في القرآن.

٨ - والرعد والبرق ينشأان في السحاب من أثر كهربائي عند التقاء الشحنات السالبة بالشحنات الموجبة، وينظر: صورة البرق في الملحق.

٩ - ﴿مَنَ﴾ في قوله: ﴿مَنْ أَصَوَّعَ﴾ للتعليق أي: لأجل الصواعق؛ إذ الصواعق هي علة جعل الأصابع في الآذان، ولا ضير في كون الجعل لائقاً.

١٠ - قال ابن عاشور: «ومن بديع هذا التمثيل أنه مع ما احتوى عليه من مجموع الهيئة المركبة المشبهة بها حال المنافقين حين منازعة الجواذب لنفسهم من جواذب الاهتداء وترقبها ما يفاض على نفوسهم من قبول دعوة النبي وإرشاده مع جواذب الإصرار على الكفر، وذَبَّهم عن أنفسهم أن يعلق بها ذلك الإرشاد حينما يخلون إلى شياطينهم. والتمثيل هنا لحال المنافقين حين حضورهم مجلس رسول الله ﷺ وسماعهم القرآن، وما فيه من آيات الوعيد لأمثالهم وأي البشارة، فالغرض من هذا التمثيل تمثيل حالة مغايرة للحالة التي مُثلَّت في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي أَسْتَوْدَ نَارًا﴾ بنوع إطلاق وتقدير».

(التحرير والتنوير ١/٣١٢، ٣١٥).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرْبِكُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّمَّوْنَ ﴾٢١﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلْأَرْضَ فِرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَإِنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾٢٢﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَنْوِعُوا سُورَةً مِّنْ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا شَهِيدًا كُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴾٢٣﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأَنْقُضُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾٢٤﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَنْجِرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَانِهَرٌ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلٍ وَأَنُوا بِهِ مُتَشَبِّهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا حَمِلُونَ ﴾٢٥﴾

التفسير:

٢١ - ٢٢ - بعد بيان أقسام أحوال الناس الثلاث، يناديهم ﷺ ويأمرهم بإقرار العبودية له سبحانه؛ إذ هو الذي خلقهم ومن قبلهم منذ عهد آدم عليهما السلام. وتأكد هذا الأمر العظيم للوصول إلى مقام المتقين الذين يخافون الله تعالى؛ لنيل الشواب الكريم والنجاة من العذاب الأليم. وهذا الخلق لأدم وذراته بعد أن خلق السموات والأرض، فمهـد الأرض سـكناً بالأرزاق والنـعم، وهيـأ السمـاء سـقفاً مـحفوظـاً ورـزقاً كـريـماً من المـياه التي تـخرج بها ثـمرات الأرض وـبرـزق بها دـوابـها، فـتزـهو أنـواع النـبات أـزواجاً، وـترـتع بها أـصناف الحـيوان أـفواجاً.

وإذا كان الله تعالى هو رازق البشرية وجب عليهم إفراده وحده سبحانه بالشكر والعبادة؛ من أجل ذلك ينهـي عبـادـه عن الإـشـراك بهـ بـاتـخـاذـ المـعـبـودـاتـ غـيـرهـ، كـصـرـفـ العـبـادـةـ لـلـبـشـرـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـصـالـحـينـ، وـلـلـحـجـرـ مـنـ الـقـبـورـ وـالـأـصـنـامـ، وـلـلـبـقـرـ مـنـ الـأـنـعـامـ، فـكـلـ ذـلـكـ فـيـهـ اـرـتكـابـ لـأـعـظـمـ الـجـرـائـمـ، أـلـاـ وهيـ جـرـيـمةـ الشـرـكـ، وـأـنـتـمـ ذـوـوـ عـلـمـ بـمـاـ تـزـعـمـونـ، فـهـمـ يـدـرـكـونـ أـنـ اللهـ الـخـالـقـ الـمـنـعـمـ هوـ الـذـيـ يـسـتـحـقـ الـعـبـادـةـ وـحـدـهـ. وـقـدـ صـحـ عنـ اـبـنـ مـسـعـودـ رـضـيـعـهـ أـنـ سـأـلـ النـبـيـ ﷺ: أـيـ الـذـنـبـ أـعـظـمـ؟ قـالـ: «أـنـ تـجـعـلـ اللهـ نـدـاًـ وـهـوـ خـلـقـكـ».

(صحـيحـ الـبـخـارـيـ: تـفـسـيرـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ، بـرـقـمـ ٤٤٧٧ـ. وـصـحـيحـ مـسـلـمـ: كـتـابـ الـإـيمـانـ، بـابـ كـوـنـ الشـرـكـ أـقـبـحـ الـذـنـوبـ، ٩٠ـ/ـ١ـ بـرـقـمـ ٨٦ـ).

٢٤ - ٢٣ ثم يؤكّد سبحانه أَمْرَ إِفْرَادِ الْعُبُودِيَّةِ لِهِ، فِي خَاطِبِ مُشْرِكِي مَكَّةَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ وَسَلَّمَ، فِي تَحْدِيَّهُمْ وَفِيهِمْ أَسَاطِينَ الْبَلَاغَةِ وَأَمْرَاءَ الْبَيَانِ، إِذَا كَانُوا يَشْكُونَ فِي صَدْقِ النَّبِيِّ وَسَلَّمَ فِي نَزْولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ، فَلَيُؤْلِفُوا وَيَصِيغُوا مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ وَلَوْ سُورَةً وَاحِدَةً، بَلْ فَلَيَسْتَعِنُوا بِالْهَتَّمِ الْمَزْعُومَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى لِعَمَلِ ذَلِكَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ إِذَا يُبَلِّغُهُمْ سُبْحَانَهُ بِالنَّتِيْجَةِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَنْ يَقْدِرُوا مُسْتَقْبَلًا، مَهْمَا بَذَلُوا مِنَ الْجَهَدِ وَالْكَدِ، ثُمَّ يَحْذِرُهُمْ مِنَ الْعَقَابِ عَلَى جُرمِهِمُ الْكُبَّارِ، إِنَّهُ النَّارَ الْمَرْكُبَةَ مِنْ حَجَارَةِ الْكَبْرِيتِ وَأَكْوَامَ الْلَّحُومِ وَالشَّحُومِ مِنْ أَجْسَادِ الْكُفَّارِ الَّتِي تَسِيلُ مِنْهَا الْدَّهْوَنَ، فَتُسَعِّرُ تِلْكَ النَّيْرَانَ، وَتَتَصَاعِدُ مِنْهَا أَعْمَدَةُ الدَّخَانِ.

٢٥ - وَإِذَا كَانَ هَذَا الإنذَارُ لِلْمُكَذِّبِينَ وَالْجَاهِدِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْدِقِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَسَلَّمَ لَهُمُ الْبَشَّرِ، وَلَمَّا ذُكِرَ الْمُبَشِّرُ أَتَبَعَهُ الْمُبَشِّرُ بِهِ فَقَالَ: ﴿أَنَّهُمْ جَنَّتِ﴾ أَيْ: مُتَعَدِّدَةُ، وَلَهُذَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ الْكَرِيمُ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَشِّرَهُمْ بِالْبَسَاتِينِ الْمَكْتُظَةِ بِالْأَشْجَارِ الَّتِي تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ذَاتَ الشَّمَارِ الَّتِي تَشْبَهُ شَمَارَ الدُّنْيَا بِاللَّوْنِ وَالشَّكْلِ، لَكِنَّهَا تَخْتَلِفُ فِي الطَّعْمِ وَالْحَجْمِ. وَمَعَ هَذَا النَّعِيمِ الْمَقِيمِ لَهُمْ مَا يَؤْنِسُهُمْ مِنَ الْأَزْوَاجِ الْمَطَهُرَةِ مِنْ كُلِّ أَذَى وَمُسْتَقْدَرِ، وَلَقَدْ اسْتَجَابَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَسَلَّمَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَبَشَّرَ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَسُعَادِ الدَّارِينَ، وَكَتَبَ التَّرْغِيبَ حَافِلَةً بِالْبُشْرِيَّاتِ النَّبُوَّيَّةِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قوله تعالى: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ هو أول أمر في القرآن الكريم فيه الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده بأسلوب تربوي يعتمد على إيقاظ الفطرة بتذكيرها بخالقها ومربيها والمنعم عليها .

٢ - في الآية (٢١) ربط العمل بالغايات القريبة والبعيدة، وهو أقوى ربط في التربية على الطاعات والثبات عليها؛ فاما الغايات القريبة فهي عبادة الله تعالى ومعرفته بأفعاله وأسمائه وصفاته، وأما الغايات البعيدة فهي نيل رضاه ورؤيته وجهه سبحانه والفوز بالجنة .

٣ - وفي هذه الآية أيضاً: استعمال الأسلوب التربوية الثلاثة؛ الإقناع والتأثير وإيقاظ الفطرة، فالدعوة إلى التأمل في خلق الإنسان وفي الاعتبار في

ما أنعم الله على عباده مما في السموات والأرض إيقاظ للفطرة لتعود إلى ربها الحق، وفي إعلان التحدي لمن يأتي بمثل القرآن إقناع للعقل باستحقاق الله لعبادته دون غيره، وفي تخويف الله عباده باتقاء النار. وكلما نوع المربى في الأساليب وعددتها كان ذلك أفضل في التأديب والتنشئة الطيبة.

٤ - توحيد العبودية سبب للوصول إلى درجة التقوى للنجاة من العذاب ونيل الثواب .

٥ - القرآن معجز؛ ولهذا تحدى الله تعالى المشركين أن يأتوا بأقصر سورة من القرآن كسورة الكوثر .

٦ - النهي الشديد عن الشرك بالله تعالى .

٧ - تعتبر الشمار كالأرحام الحاوية للأجنحة أو البذور، فالثمرات أرحام النباتات والبذور أجنتها، والثمرات تحتوي على البذور الجديدة التي تضمن استمرار وجود النوع النباتي، ولو لا فضل الله ثم الثمرات لانقرضت أنواع النباتات من الكون. (علم النبات في القرآن الكريم: السيد عبد الستار المليجي، ص ٣١).

٨ - بشرى المؤمنين بجحات النعيم .

٩ - وجوب عبادة الله وحده .

١٠ - الأصل في الأشياء والنعم الإباحة إلا ما حرم الله تعالى .

١١ - ورتبَت هذه النعم الدالة على الخالق، الداعية إلى شكره أحكمَ ترتيباً، فقد قدم الإنسان لأنَّه أعرف بنفسه والنعمة عليه أدعى إلى الشكر، وثُنِيَّ بمن قبله لأنَّه أعرف بنوعه، وثُلِّث بالأرض؛ لأنَّها مسكنه الذي لا بدَّ له منه، ورَبَّ بالسماء لأنَّها سقفه، وخمَس بالماء؛ لأنَّه كالآخر والمنفعة الخارجة منها وما يخرج بسببه من الرزق .

١٢ - الترهيب من النار، فهي جاهزة لعقاب أهلها .

١٣ - الزوجات في الجنة خالية من أيٍّ قدارة .

١٤ - اقتران ذكر السماء بالأرض تكرر كثيراً في القرآن إشارة إلى اشتراك السماء والأرض في الخلق، فهما كانتا متصلتين ثم فصلتا كما في قوله تعالى: ﴿كَانَا رَتْقًا فَنَفَقَتْ هُمَا﴾ [التوبه: ٣٦].

وينظر المزيد في : سورة التوبه في الآية (٣٦).
١٥ - وردت البشري بعد ذكر جزاء الكفار؛ للدلالة على أن العمل يُجزى بمثله ، وهذا غاية العدل الرباني .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعْوَذَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِنَا مَثَلًا يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَسِيقُينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَيْكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي حَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

٢٦ - سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم عن الحسن بن أبي الربيع قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة قال: لما ذكر الله تبارك وتعالى العنكبوت والذباب قال المشركون: ما بالعنكبوت والذباب يُذکران؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعْوَذَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

ثم قال ابن أبي حاتم: وروي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي وقتادة. والإسناد إلى قتادة حسن، وكون هذا السبب رُوي من طرق أخرى فإن هذه الطرق المرسلة يقوى بعضها بعضاً . (يُنظر: التفسير الصحيح ١٢٨/١).

التفسير:

إنَّ الله تعالى لا يخشى أنْ يُشبِّهَ شيئاً بشيءٍ، ولو كان تشبِّهَا بأصغر شيء كالبعوضة وما دونها، مما ضربه الله مثلاً لعجز كل ما يُعبد من دون الله تعالى، فأما المؤمنون فيُصدِّقُونَ، ويعلمون حكمة الله تعالى في التشبيه بالصغير، وغيره من خلقه، وأما الكفار فيُستنكرون مراد الله تعالى من ضرب المثل بهذه المخلوقات الصغيرة، ورَدَ الله تعالى عليهم بأنَّ المراد هو

الاختبار؛ لذلك يصرفُ الله تعالى بهذا المثل ناساً كثيرين عن الحق؛ لاستنكارهم له، واعتراضهم عليه، ويُوقّق به غيرهم إلى مزيد من الإيمان والهداية. والله تعالى لا يصرف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته.

٢٧ - ومن صفات هؤلاء الكفار: أنهم ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بأن يؤمنوا به ويطليعوه، وأنهم يخالفون أوامره، ومنها: قطع الأرحام، ومقاطعة الرسول ﷺ، ونشر الفساد في الأرض. أولئك هم الذين حرموا أنفسهم من الحياة الطيبة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٢٨ - ومن أجل ذلك الكفر أنكر الله تعالى على الكفار موبخاً لهم: كيف يقع منكم الجحود بالله الذي أوجدكم من العدم، ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم، ثم يعيدكم أحياء يوم البعث، ثم ترجعون لنيل الثواب أو العقاب؟

٢٩ - ومن نعم الله تعالى عليكم أيها الناس: أنه هو الذي خلق لأجلكم كل ما في الأرض من النعم التي تنتفعون بها، ثم قصد إلى خلق السموات السبع، فأتمنهن على أحسن وجه، وهو قد أحاط بكل شيء علمًا.

الفوائد والاستنباطات:

١ - وجوب الإيمان بأي مثل يذكر في القرآن الكريم، وتقرير البعث.

٢ - قال الحرالي: «ولما كان ضرب المثل متعلقاً بمثل وممثل كان الضرب واقعاً عليهما، فكان لذلك متعدياً إلى مفعولين: مثلاً ما وبعوضة». (ينظر: نظم الدرر: ١/٧٦).

٣ - النص القرآني يفيد أن أنثى العوض وحدها هي الناقلة للأمراض، ومن ثم كانت مناط التحدي. تعبير **﴿فَمَا فوْقَهَا﴾** يشمل المعنيين المتضادين معًا أي ما يفوقها ضالة في الحجم حتى لا يُرى بالعين المجردة، وما يفوقها ضخامة في البناء. (من آيات الإعجاز العلمي: الحيوان في القرآن الكريم: زغلول النجار: ص ١٧٤ - ١٧٩).

٤ - تحريم نقض المواثيق.

٥ - تحريم قطعية الأرحام.

٦ - إثبات صفة الاستواء لله تعالى.

٧ - نَعَمُ الله كثيرة عظيمة، ويجب أن تقابل بالشكر، وأعظم شكره عبادته وحده.

٨ - إثبات صفة العلم لله تعالى، وأنه يعلم كل شيء، ولا غرابة فإنه خالق كل شيء، والإيمان بإثبات هذه الصفة العظيمة ترتقي بحياة المؤمن؛ لأنه يجب عليه أن يراعي ذلك في أقواله وأفعاله. وهذا من ثمرات الإيمان بهذه الصفة الكريمة، فعلى المؤمن الذي يثبت هذه الصفة أن يراقب الله تعالى في السر والعلن، وفي القول والعمل.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْوَاٰتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَيْحُ حَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾٣٤﴾ وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضُوهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنِّي شُوْفَنِي بِاسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُ صَدِيقَنِي قَالُوا سُبِّحْنَاكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾٣٥﴾ قَالَ يَكُادُمُ أَنِّي تُهُمْ بِاسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِاسْمَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ عَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا يُبَدُّونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنِيُونَ ﴾٣٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِنْ لِيَسَ أَبِي وَأَسْتَكِبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾٣٧﴾

التفسير:

٣٠ - واذكر - أيها الرسول - للعباد حين قال ربكم للملائكة ﷺ : إنني خالق في الأرض قوماً يخالف بعضهم بعضاً لعماراتها. ثم سألت الملائكة الله تعالى عن الحكمة من خلق هؤلاء مع أنه فيهم من يفسد في الأرض بأنواع المعاishi، ويسفك الدماء بغير حق، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نذكرك، ونعزّمك، وننزعّمك عن كلّ نقص. فأجابهم الله تعالى : بأنه يعلم ما لا تعلمه الملائكة من الحكمة في خلق هذا الصنف.

٣١ - ولما أعلم سبحانه الملائكة أنَّ الأمر على خلاف ما ظنوا، شرع في إقامة الدليل عليه، فقال عاطفاً على قوله (قال): ﴿وَعَلَمَ﴾ أي : لإقامة الدليل على ذلك. فعلم الله تعالى آدم ﷺ أسماء الأشياء كلها ، فعلمها الاسم

والمسَمَّى، ثُمَّ عرضَ المسمَّيات على الملائكة قائلاً لهم: أخبروني بأسماء هذه المسمَّيات، إن كنتم صادقين في أَنَّكُم أولى بالاستخلاف في الأرض منهم.

٣٢ - أجاب الملائكة بكل أدب وتعظيم: إِنَّا نُقَدِّسُكُمْ وننَزِّهُكُمْ مِنَ الاعتراف عليك، ليس لنا عِلْمٌ إِلَّا ما علمنَا إِيَاهُ، إِنَّكَ أَنْتَ وحْدَكَ الْعَلِيمُ بِشَوْءُونَ خَلْقَكَ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ.

٣٣ - حين ذلك أمر الله تعالى آدم أن يخبر الملائكة بأسماء هذه الأشياء التي لم تعرفها الملائكة، فلما أخبرهم آدم بها قال الله للملائكة: ألم أخبركم أني أعلم ما خَفِيَ عنكم في السموات والأرض، وأعلم ما تُظْهِرُونَهُ وما تُخْفُونَهُ؟!

٣٤ - واذكر - أيها الرسول - للعباد كيف كرَّمَ الله تعالى آدم وفَضَّله؟ حين أمر الملائكة أن يسجدوا له تكريماً له، فأطاعوه جميعاً إِلَّا إِبْلِيسَ امتنع عن السجود، وأظهر كبره، فصار من العاصيin لأمر الله تعالى، وهذا الأمر بالسجود قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - فَضْلُ آدَمَ وذراته في جعله خليفة في الأرض.
- ٢ - عداوة إِبْلِيس لآدَمَ وذراته منذ خلقه.
- ٣ - بيان فضل العلم، ومكانة العلماء.
- ٤ - سؤال الملائكة الله تعالى سؤال استفهام، وليس سؤال اعتراض.
- ٥ - قوله تعالى: ﴿وَعَلِمَ أَدَمَ﴾ يُستتبَطِّ منه أنه سبحانه خلق آدم، ثم عَلِمَه، وجاءت تسمية آدم من عند الله تعالى، فكما هو أول مخلوق من البشر فكذلك ترتيب اسمه بين الأسماء، إذ يتصدر الأسماء كلها دائمًا في كل معجم وفي كل فهرس.
- ٦ - صَحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سَوْنَ ذَرَاعًا.. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَرَلِ الْخَلْقَ يَنْقُصْ حَتَّى الْآنَ». (صحيف البخاري: كتاب الأنبياء، باب خلق آدم، برقم ٣٣٢٦. وصحيف

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفتدهم مثل أفتدة الطير، ٢٨٤٠ برقم ٢١٨٣ / ٤. واللفظ للبخاري).

٧ - فَضْلُ آدَمَ ﷺ وَشَرَفُهُ بِمَا عَلِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

٨ - تقرير قدرة الله تعالى في تعليمه آدم أسماء الموجودات.

٩ - السجود الذي أمر الله به الملائكة أن يسجدوا لآدم هو تكريمه طاعةً لله وامتثالاً لأمره.

١٠ - الإشارة إلى اعتقاد إبليس أنه أفضل من آدم ﷺ .

١١ - الملائكة لا تعلم الغيب.

١٢ - قال الشيخ الشنقيطي عند الآية (٣٤): «لم يبيّن هنا موجب استكباره في زعمه، ولكنه بيّنه في مواضع آخر قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمْرَتَكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].»

﴿وَقُلْنَا يَئَادُمْ أَسْكُنْ أَنَّتْ وَزَوْجُكَ لِجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا نَقْرَبَا هَذِهِ الْسَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾٢٥﴾ فَأَرَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْنَدٌ وَمَنْعَلٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٦﴾ فَلَنَقَقَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَأَبَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَكُمْ مِنْ هُدَىٰ فَمَنْ تَبَعَ هُدَىٰ فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيَّا نَا أُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴿٢٩﴾

التفسير:

٣٥ - وأكرم الله تعالى آدم بأن يسكن هو وزوجته حواء الجنة، وأن يتمتعا بشارها هنيئاً واسعاً في أي مكان يشاءان فيها، وألا يقربا الشجرة التي نهى عنها حتى لا يقعوا في المعصية، فيكونا من المخالفين لأمر الله تعالى.

٣٦ - فلما رأى الشيطان ذلك التكريم قام يوسوس لهم حتى أكلوا من الشجرة، فأوقعهما في المعصية، فتسبيب في إخراجهما من الجنة، فأمر الله تعالى عباده أن يهبطوا إلى الأرض، وأخبرهم بما سيقع بينهم من العداوة

وَكَيْدُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ فِيهَا ، وَجَعَلَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ قَرَارًا وَأَرْزَاقًا إِلَى وَقْتِ اِنْتِهَاءِ الْأَجْلِ .

٣٧ - فَتَلَقَّنَ آدَمُ كَلْمَاتٍ أَلْهَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَاهَا تُوبَةً وَاسْتِغْفَارًا ، فَتَقْبَلَ مِنْهُ وَغَفَرَ لَهُ . إِنَّهُ تَعَالَى هُوَ التَّوَابُ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ ، الرَّحِيمُ بِهِمْ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ .

٣٨ - ثُمَّ أَمْرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِبُوتِهِمْ جَمِيعًا مِنَ الْجَنَّةِ ، وَبَشَّرَهُمْ وَذُرِيَّاتِهِمُ الْمُتَعَاقِبَةِ بِأَنَّهُ سَتَأْتِيهِمُ الْهُدَى إِلَى الْحَقِّ ، فَمَنْ عَمِلَ بِهَا لَمْ يُصِبْهُ فَرْعَ وَلَا نَدْمٌ وَلَا حَسْرَةً .

٣٩ - وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَبِرَاهِينِهِ فَأُولَئِكَ مَصِيرُهُمُ النَّارُ ، يَلَازِمُونَهَا مَا كَثِيرٌ فِيهَا ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا .

الفوائد والاستنباطات:

١ - تقرير خلق الله الجنة وأنها موجودة .

٢ - بدء خلق آدم وحواء في الجنة . وقوله تعالى: ﴿إِنَّتَ وَزَوْجَكَ﴾ يوحى أن حواء قد خلقت . وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن خلقها ، كما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبتم تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أوج ، فاستوصوا بالنساء» . (فتح الباري - أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذراته برقم ٣٣٣١ ، صحيح مسلم - الرضاع ، باب الوصية بالنساء برقم ٦٠ . واللفظ للبخاري . قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: قيل فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل: من ضلعه القصير) .

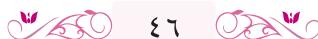
٣ - التحذير من إغواء إبليس وجنته .

٤ - رحمة الله بعباده بقبول التوبة النصوح .

٥ - شدة عداوة الشيطان لآدم عليه السلام .

٦ - تقرير عاقبة المعصية التي أخرجت آدم من الجنة كما قال ﷺ : ﴿وَعَصَنَ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ .

٧ - وجوب التوبة من الذنب الذي يرتكبه العبد .



- ٨ - معصية الله والخروج على أمره سبب لشقاء الإنسان.
- ٩ - قبول الله تعالى توبة التائب توبة نصوحاً.
- ١٠ - عداوة الشيطان للإنسان عداوة قديمة؛ ولذا على المسلم ألا يستجيب لوساوشه، وأن يتبع عن طريقه.
- ١١ - علاج الوسوسة الاستعانة بالله، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ نَذَّكَرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].
- ١٢ - في الآية (٣٨) إخبار عن أمان المهددين في الماضي والمستقبل.
- ١٣ - الكلمات التي تلقاها من ربه هو قوله: ﴿فَالَا رَبَّنَا ظَلَمَنَا أَنفَسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] كما صح عن قتادة فيما رواه عبد الرزاق عن معمر عنه. (التفسير ٣٥ / ١).

﴿يَبْيَنِي إِسْرَئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ الَّتِي آتَيْتُمْ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِي بِعَهْدِكُمْ فَإِيَّاهُ فَارْهُبُونَ﴾
 وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوْلَى كَافِرِ بِهِ وَلَا تَشْرُدُوا بِقَاتِنِي ثَمَنَا قَلِيلاً
 فَإِيَّاهُ فَاتَّقُونَ﴾
 وَلَا تَلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَامِلُونَ﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكُوَةَ وَأَرْكُوْا مَعَ الْرَّاكِبِينَ﴾
 أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ
 لَكِتَابٌ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
 وَأَسْتَعِنُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّالِحَةِ وَإِنَّهَا لَكِبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ﴾
 الَّذِينَ يَظْلَمُونَ أَمَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَإِنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجُوْنَ﴾
 يَبْيَنِي إِسْرَئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ الَّتِي آتَيْتُ
 عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
 وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجِزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
 شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾

التفسير:

- ٤٠ - ينادي الله تعالىبني إسرائيل، وهم ذريّة يعقوب عليه السلام - وهونبي الله تعالى - أن اذكروا نعمي الكثيرة عليكم، وأنتموا وصيتي لكم بأن تؤمنوا بالرسل وإقامة الشريعة، فإن قمتم بذلك فسأجازيكم بسعادة الدنيا والآخرة، وإياي وحدني فخافوني.



٤١ - وَأَمْنَا بِالْقُرْآنِ الَّذِي أُنزِلَتْهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مَّوْافِقًا لِمَا نَزَّلَ مِنَ التُّورَةِ،
وَلَا تَكُونُوا مِنَ السَّبَاقِينَ بِالْكُفْرِ بِهِ، وَلَا تَعْتَاضُوا عَنِ الإِيمَانِ بِأَيَّاتِي بِالدُّنْيَا
وَشَهْوَاتِهَا، وَإِيَّا يِ وَهْدِي فَخَافُونِي، فَاعْمَلُوا بِطَاعَتِي، وَاتْرُكُوا مَعْصِيَتِي.

٤٢ - وَلَا تَخْلُطُوا الْحَقَّ مِنَ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ مِنْ عَنْدِكُمْ، وَلَا تُخْفِوْا الْحَقَّ،
وَمِنْهُ الْبُشَارَةُ الْوَاضِحَةُ فِي كِتَابِكُمْ بِيَوْمَ الْبَعْثَةِ النَّبِيُّ ﷺ، وَصَفْتَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ
نَبِيٌّ حَقٌّ.

٤٣ - وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ الْمُفْرُوضَةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَدُّوا الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ
لِلْمُسْتَحْقِينَ، وَصَلُّوا مَعَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَارْكَعُوا مَعَهُمْ بِصَدْقٍ وَّبِقِينَ.

٤٤ - كِيفَ تَأْمِرُونَ النَّاسَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَتَرَكُونَ أَنْفُسَكُمْ يَا أَحْبَارَ
الْيَهُودِ، وَأَنْتُمْ تَقْرَئُونَ التُّورَةَ الَّتِي تَنْهَىُ عَنِ ذَلِكِ؟! أَفَلَا تَدْرِكُونَ سُوءَ عَمَلِكُمْ؟

٤٥ - وَاطَّلُبُوا عَوْنَ منَ اللَّهِ تَعَالَى بِوَاسِطَةِ الصَّبْرِ بِأَنْوَاعِهِ وَبِالصَّلَاةِ،
وَإِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَثَقِيلَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ تَعَالَى، الَّذِينَ يَوْقُنُونَ أَنَّهُمْ
سَيَلَاقُونَ اللَّهَ تَعَالَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مَبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلثَّوَابِ وَالْعَقَابِ.

٤٦ - يُنَادِي اللَّهُ تَعَالَى ذُرِيَّةَ يَعْقُوبَ ﷺ: أَنْ اذْكُرُوا نَعْمَيِ الْكَثِيرَةِ
عَلَيْكُمْ، وَمِنْهَا: تَفْضِيلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكُمْ.

٤٧ - وَاحْذِرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا تُغْنِي فِيهِ نَفْسٌ شَيْئًا،
وَلَا يَقْبِلُ اللَّهُ شَفَاعَةً فِي الْكَافِرِينَ، وَلَا تَنْفَعُهُمُ الْفَدِيَةُ، وَلَوْ كَانَتْ تَسَاوِي
أَمْوَالُ الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَلَا يَسْتَطِعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْقَذَهُمْ مِنْ عَذَابِ نَارِ جَهَنَّمِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - تذكير بنى إسرائيل بإكرام الله لهم.

٢ - التحذير من خلط الحق بالباطل.

٣ - إسرائيل هو يعقوب نبى الله ﷺ، كما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه فيما
رواه عبد بن حميد بسنده عنه، وحسنه الحافظ ابن حجر. (فتح الباري ٣٧٣/٦).

٤ - وجوب الوفاء بالعهد مع الله بطاعته، والعهد مع عباده في أمور دنياهم.

٥ - تحريم كتمان الحق، كما قال ﷺ: ﴿وَتَكُبُّوْا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وفي

هذا تشديد في الإثم، وقال في كتمانه الشهادة ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَبْلُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٦ - فضيلة الاستعana بالصبر، فقد أمر الله عباده أن يصبروا على ما يلاقونه في جهادهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وأمرهم بالاستعana بالصلاوة، كما أمرهم بذلك رسول الله ﷺ، فكان إذا نزل به أمرٌ فزغ إلى الصلاة.

٧ - فضل بنى إسرائيل على أهل زمانهم.

٨ - الصلاة تخفف وطأة المشاكل، كما ثبت عن النبي ﷺ عن حذيفة: كان إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صلَى.

(أخرج أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ بالليل برقم ١٣١٩، وحسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير ٤/٢١٥).

٩ - وجوب تقوى الله تعالى.

١٠ - المؤمن الصادق هو الذي وافق قوله عمله، فلا يقول ما لا يفعل.

١١ - من الكبائر أن يأمر الرجل بالمعروف ولا يقوم به، وأن ينهى عن المنكر ويفعله، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «يُجاء بالرجل يوم القيمة، فيُلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أيُّ فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا آتنيه، وأنهاكم عن المنكر واتيه». (صحيح البخاري - بده الخلق، باب صفة النار برقم ٢٩٨٩. وصحيح مسلم - الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله برقم ٢٩٨٩. واللفظ للبخاري).

١٢ - المراد بالتفضيل على العالمين أي: عالم أهل زمانهم، كما صحَّ عن قتادة فيما رواه عبد الرزاق عن معمر عنه. (التفسير ١/٣٥).

﴿وَإِذْ جَعَنَّكُم مِّنْ أَلِ فِرْعَوْنَ يُسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذْهَبُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيُسْتَحِيْونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾٤٩﴿وَإِذْ فَقَنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْعَنَّكُمْ وَأَغْرَقْنَا إِلَيْهِ أَلِ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ
نَظَرُونَ ﴾٥٠﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَزْبَعِينَ لِيَلَةً ثُمَّ أَخْذَنَّمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾٥١﴿ثُمَّ
عَفَوْنَا عَنْكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعْلَكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴾٥٢﴿وَإِذْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعْلَكُمْ
نَهْتَدُونَ ﴾٥٣﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاِتِّخَادِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى
بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ عَنِ الْعِصْمَةِ إِنَّهُ هُوَ الْمَوَابُ الرَّحِيمُ ﴾٥٤﴿وَإِذْ
فُلِتُمْ يَمُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىَ اللَّهَ جَهَرَ فَأَخْذَنَّكُمُ الصَّعِيقَةَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴾٥٥﴿ثُمَّ
بَعْثَتُكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعْلَكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴾٥٦﴿وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ
وَالسَّلَوَىٰ كُلُّا مِنْ طِبَّاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾٥٧﴿وَإِذْ قُلْنَا
أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حِيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا وَقُلُولُ حَجَّةٍ نَعْفِرُ لَكُمْ
خَطَّيْكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾٥٨﴿فَبَدَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا عَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا
عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا جُزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴾٥٩﴾

التفسير:

٤٩ - يُذَكِّرُ الله تعالى ذريَّةً يعقوب عليه السلام بنعمه الكثيرة عليهم، كما في الآيات الثلاث عشرة السابقة، وذلك حين أندَّ آباءهم من ظلم فرعون وأعوانه الذين كانوا يذِّقونهم أشد التعذيب، فهم يقتلون الذكور، ويتركون الإناث أحياء للخدمة والامتهان. وفي هذا العذاب المهين اختبار عظيم من خالقهم الحكيم.

٥٠ - واذكروا حين شققنا لكم شمال البحر الأحمر حتى صار طريقاً يابساً؛ لتسيروا فيه، فتتخلصوا من الإبادة، واذكروا حين أغرقنا فرعون وأتباهه وأنتم ترونهم وهم يغرقون. قال الشيخ الشنقيطي: «لم يُبيّن هنا كيفية إغراقهم، ولكنه يبيّنها في مواضع آخر كقوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ شُرُّقِينَ ﴾٦٠ فَلَمَّا تَرَءَاهُمْ
الْجَمِيعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرُونَ ﴾٦١﴿ قَالَ لَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِنَا إِلَيْهِ مُوسَى
أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ كُلُّ فِرْقٍ كَانَ طَوِيدُ الْعَظِيمِ ﴾٦٢﴿ وَأَزْلَفَنَا ثُمَّ الْآخَرَينَ ﴾٦٣﴾

[الشعراء: ٦٠ - ٦٤]. (أضواء البيان: ١٣٨).

٥١ - واذكروا حين وعد الله تعالى موسى ﷺ عند جبل الطور - يقع في صحراء سيناء شمال البحر الأحمر - بعد أربعين ليلة لإعطائه التوراة، فلما عاد وجدكم قد عبدتم العجل، وأنتم ظالمون لأنفسكم بهذا الشرك.

٥٢ - ثم تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد عبادتكم العجل؛ كي تشكروا الله تعالى بالقول والفعل.

٥٣ - واذكروا حين أنزلنا على نبيكم موسى ﷺ التوراة التي يُفرَقُ بها بين الحق والباطل؛ كي تسترشدوا بنوره وهديه.

٥٤ - واذكروا حين قال موسى ﷺ لقومه من بني إسرائيل: إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل، فتوبوا إلى خالقكم، بأن يقتل بعضكم بعضاً. وهذا خير لكم من عذاب النار في الآخرة، فأطعتم الأمر، فتقبل الله تعالى توبيتكم. إنه تعالى كثير التوبة على عباده، واسع الرحمة بهم.

٥٥ - واذكروا حين قلتم لنبيكم موسى: لن نُصَدِّقَك في دعوتك لنا إلى غاية أن نرى الله عالياً. ففاجأناكم بنار محرقة من السماء رأيتها عياناً، فأهلكتكم بعنة.

٥٦ - ثم أحيناكم - لما لنا من العظمة الكاملة والقدرة الشاملة - من بعد موتك بالنار المحرقة؛ كي تشكروا الله تعالى بالقول والفعل.

٥٧ - وجعلنا السحاب مظللاً عليكم؛ ليقيكم حرّ الشمس، وأنزلنا عليكم طعاماً حلواً، وطيراً شهياً، كُلوا مما لذّ من الطعام الحلال الذي رزقناكم إياه، وما ظلمونا بجحودهم النعم، وإنما ظلموا أنفسهم؛ لأنّ ضرر العصيان واقع عليهم بالنّقم.

٥٨ - يُذَكِّرُ الله تعالى ذريّة يعقوب ﷺ حين قال لأبائهم: ادخلوا بيت المقدس، فكلوا وتمتعوا بما فيها من النعم كما تشاءون عيشاً واسعاً، وادخلوا باب بيت المقدس مُنْحَنِين متذلّلين لله تعالى، واسأله أن يغفر لكم ذنبكم، فمن يفعل ذلك نستجب له، وسنزيد أرباب الإحسان ثواباً وتكريماً.

٥٩ - فغيّر المعتدون منهم أمر الله تعالى، إذ دخلوا زحفاً على مؤخرة أجسامهم دون انحناء، ولم يسألوا الله تعالى المغفرة، وإنما قالوا: (كبّة في

شَعْرَة) استهزاً بأمر الله تعالى، فكان الجزاء أن نَزَّلَ الله عليهم عذاباً من السماء بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى، وهذا العذاب هو الطاعون.
 (كما في صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، برقم ٣٤٧٣).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الرعاية الربانية لعباده المؤمنين.
- ٢ - تقرير الإيمان بالتوراة التي أعطيت موسى ﷺ.
- ٣ - تقرير عقوبة العصاة والظالمين، وقبول توبة التائبين.
- ٤ - نَجَّى الله بنى إسرائيل في يوم عاشوراء، كما صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نَجَّى الله بنى إسرائيل من عدوهم فاصاموه، قال: فأنا أحق بموسى منكم، فاصامه وأمر بصيامه. (صحيح البخاري - الصيام، باب صيام يوم عاشوراء برقم ٢٠٠٤. وصحيح مسلم - الصيام، باب أي يوم يصوم عاشوراء. والله لفظ للبخاري).
- ٥ - تحريم الشرك بالله تعالى وشدة عقوبته.
- ٦ - الطاعة سبب للمغفرة وزيادة الحسنات.
- ٧ - معجزة موسى ﷺ في انفلاق البحر، ونجاته مع قومه.
- ٨ - بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مخالفة بنى إسرائيل القولية والفعلية عند دخولهم الباب، فقد صحّ عنه أنهم دخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا: حَطَّة حبة في شعرة. (صحيح البخاري - تفسير سورة البقرة برقم ٤٤٧٩).
- ٩ - ينظر: خارطة صحراء سيناء؛ ليبيان مكان الغرق والنجاة في الملحق.
- ١٠ - ينظر: صورة طائر السمان والمنْ فوق الأشجار، وبعد التصنيع، وصورة الكمة وهي من المُنْ.

وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَالَةَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ أَثْنَتَ عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَّاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُّوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا يَمْوَسِي لَنَ نَصِيرَ عَلَى طَعَامِ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلَهَا وَقَثَائِبِهَا وَفُؤُمَهَا وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ اسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدَمَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا إِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذَّلَّةُ وَالْمُسْكَنَةُ وَبَاءَهُ وَيُغَضِّبُ مِنْهُ اللَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَعَاهِدُتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ يَغْيِرُ الْحَقَّ ذَلِكَ مَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَاللَّصَرَى وَاللَّصَرِيْنَ مَنْ إِمَّا مَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ أَلَاخِرٍ وَعَمِلَ صَلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنَدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الظُّرُورَ خُذُوا مَا إِاتَيْنَاكُمْ بِيُقْوَةٍ وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَقُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّتُمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُم مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾

التفسير:

٦٠ - وذكروا حين دعا موسى ﷺ الله تعالى أن يسقي قومه منبني إسرائيل حينما احتاجوا إلى الماء، واشتدّ بهم العطش في أثناء التيه في صحراء سيناء - الواقعة شمال البحر الأحمر - فاستجبنا له، إذ قلنا له: اضرب بعصاك الحجر ففعل، فأخرج الله تعالى من الماء اثنتي عشرة عيناً بعدد قبائلهم المعروفة بالأسباط، فعرفت كل قبيلة العين التي تشرب منها، وأباح لهم الطعام والشراب، ونهاهم عن السعي بالفساد والخراب.

٦١ - وادكروا - يا ذرية يعقوب ﷺ - حين بطر أجدادكم ، إذ لم يصبروا على قلة أنواع النعم التي كانت تنزل عليهم من دون تعب ولا نصب ، فطلبوها من نبيهم موسى ﷺ أن يدعوه الله تعالى بأن يرزقهم مما يخرج من نبات الأرض : من الخضر والبقول والثبات والمحنطة والعدس والبصل ، فتعجب موسى ﷺ من ذلك واستنكر عليهم ، كيف تُفضّلُون هذه الأصناف على تلك النعم التي تفضل الله بها عليكم ! وأن هذه الأصناف التي طلبتموها متوافرة



في كل مدينة، فإذا دخلتم أي بلدة فيها زراعة فستجدون مُرادكم. ويسبب هذا البطر والعناد عُوقبوا بالذلة، وفقر النفوس، وبغضب من الله تعالى؛ لأنهم يُكذبون بآيات الله تعالى، ويقتلون الأنبياء ظلماً، وذلك بسبب التمرد على أوامر الله تعالى، والاعتداء على الحقوق.

٦٢ - إنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالَّذِينَ خَرَجُوا عن دين اليهود والنصارى هؤلاء إذا صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَقَامُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَهُمْ ثَوَابٌ إِيمَانَهُمْ وَعَمَلَهُمْ، وَلَا يَعْتَرِيهِمْ خَوْفٌ مِّنْ عَاقِبَةٍ. وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْبَعْثَةِ النَّبِيَّةِ، أَمَّا مَا بَعْدَ الْبَعْثَةِ فَإِنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ.

٦٣ - يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خِيَانَةِ الْيَهُودِ فِي نَقْضِهِمِ الْعَهُودِ، وَتَعْتُّهُمُ الْلَّدُودُ، وَمَكْرُهُمُ بِأَوْلَيَاءِ اللَّهِ، وَتَحْرِيفُهُمُ لِكَلَامِ اللَّهِ، كَمَا فِي الْآيَاتِ الْثَّمَانِيَّةِ الْأَتِيَّةِ: وَأَذْكُرُوا يَا ذَرِيَّةَ يَعْقُوبَ حِينَ أَخَذْنَا عَلَيْكُمُ الْعَهْدَ الْمُغْلَظَ زَمْنَ مُوسَى، وَاقْتَلَنَا جَبَلَ الطُّورِ، وَجَعَلْنَا فَوْقَكُمْ كَالظَّلَّةِ تَهْدِيَّاً وَتَخْوِيْفَاً؛ لَتَعْمَلُوا بِمَا فِي التُّورَاةِ بِكُلِّ هِمَّةٍ وَامْتِشَالٍ، وَلَتَقْرُؤُوا مَا فِيهَا، كَيْ تَصُونُوا أَنْفُسَكُمْ مِّنَ الْعَقَابِ، وَتَفُوزُوا بِالثَّوَابِ.

٦٤ - ثُمَّ إِنَّكُمْ أَعْرَضْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَهْدِ وَالتَّهْدِيدِ، فَلَوْلَا تَدَارُكُكُمْ بِالْلَّطْفِ اللَّهُ تَعَالَى، وَتَأْخِيرِهِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ، لَكُنْتُمْ مِّنَ الْمَاهِلِكِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في الآية (٦١) إخبار عن ذلة اليهود في الماضي والمستقبل ومسكتهم، ومن هذه الأدلة حرصهم الشديد على الحياة الدنيا.
- ٢ - في الآية (٦٢) إخبار عن أمر مستقبلي، وبشرى لجميع الأديان في المستقبل إذا آمنوا، فلهم أجرهم عند الله تعالى.
- ٣ - العقوبة في الدنيا موعضة للأمم.
- ٤ - استجابة الله تعالى لموسى ﷺ.
- ٥ - التحذير من مؤامرات الاعتداء من اليهود.
- ٦ - عدم انتفاع اليهود بالمعجزات والتهديدات.



٧ - ينظر : خريطة سيناء؛ لبيان مدينة إيلات كما في الملحق .

٨ - الآية (٦٢) منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وقد ورد نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الطبرى وابن أبي حاتم عنه بسنده ثابت . (بنظر : التفسير الصحيح ١٦٩/١) .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الَّذِينَ أَعْنَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبَتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرْدَةً خَسِيرَينَ ﴾ [٦٥] فَجَعَلْنَاهَا نَكَلًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٦٦] وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَّا نَنْتَهِي إِلَيْهَا أَنَّا أَنَا مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٦٧] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا فَاقْعَلُوا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ [٦٨] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا سُرُّ الْأَنْتَزِيرِينَ ﴾ [٦٩] قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهَتُدُونَ ﴾ [٧٠] قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحُرُثَ مُسَلَّمَةً لَا شِيَةً فِيهَا قَالُوا أَنَّنَّ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٧١] وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَءُوهُ إِنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ مَا كُنْتُمْ تَكْنُونَ ﴾ [٧٢] فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَصْبَهَا كَذَلِكَ يُحِيِّ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ أَيْتِيَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [٧٣]

التفسير:

٦٥ - قسماً لقد علمتم جريمة أسلافكم في مدينة (إيلات) - وتقع شمال البحر الأحمر في خليج العقبة - هؤلاء الذين تجاوزوا أمر الله تعالى حين نهاهم عن صيد السمك يوم السبت، لكنهم خالفوا، فعاقبهم بالمسخ في الدنيا إلى قردة أذلة. وهذا المسمخ حقيقة لا مجاز.

٦٦ - فجعلنا عقوبة المسمخ في مدينة (إيلات) عبرة لمن عاصرهم، ولمن يأتي بعدهم، وتذكرة للذين يخافون العقاب، ويرجون من الله الثواب.

٦٧ - واذكروا حين قال موسى لقومه من بنى إسرائيل : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ



تذبحوا بقرة؛ وذلك لكشف معرفة القاتل الذي قتل رجلاً منهم، إذ طلب منهم أن يذبحوا أيّ بقرة، ولكنهم شَدَّدوا واستنكروا على نبيهم موسى مستكبرين: أتسخر منا يا موسى؟ فرَدَ عليهم قائلاً: أعتصم وأستجير بالله أن أكون من السفهاء الجهلة الذين يستهزئون بعباده.

٦٨ - لكنهم كرّروا تعنتهم، فقالوا: اسأل ربك أن يبّين لنا صفة تلك البقرة، فأجابهم بأنَّ الله تعالى أخبرني بأنها ليست مُسِنَّة، ولا صغيرة، بل وسط بينهما، ففَدَّوا ذلك الأمر.

٦٩ - ثم تماذوا في تعنتهم، فقالوا: اسأل ربك أن يبّين لنا لونها، فأجابهم بأنَّها بقرة صفراء شديدة الصفرة تبهج الناظر إليها، لصفاء لونها وحسنها.

٧٠ - ثم لجُوا في تشددهم، فطلبوها من موسى أن يسأل الله ليبّين لهم صفات أخرى؛ لأنَّ جنس البقر تشابه عليهم، وأنهم سيهتدون إلى معرفة البقرة بمشيئة الله تعالى.

٧١ - فأجابهم موسى بأنَّ الله تعالى يقول لكم: إنها بقرة لم يُذَلَّها العمل، ولا تُستخدم في سقي الزرع كالدواش النواضح المستعملة لإخراج المياه من الآبار، وسليمة من العيوب، لا لون فيها يخالف سائر جسدها. قالوا: الآن جئت بالبيان الواضح. فبحثوا عن بقرة فذبحوها، وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لندرة وجود مثل هذه البقرة، وخوفاً من الفضيحة بكشف القاتل.

٧٢ - واذكروا حين قتل أحدكم رجلاً منكم فاختلتم فيمَنْ هو القاتل؟ والله تعالى مُظْهِرٌ ما تُخفون من أمر القتل.

٧٣ - فأمرنا أن يُضرب القتيل بأحد أعضاء البقرة المذبوحة، فضربوه فأحياه الله، وأخبر بقاتلته، وهكذا يحيي الله الموتى بقدرته، ويرُيكم علاماته الدالة على كمال قدرته؛ كي تتفكروا بعقولكم، وتُذَكِّروا قدرة الله على البعث.

الفوائد والاستنباطات:

١ - عقوبة المسوخ إلى قردة على الحقيقة وليس على المجاز، وهو المسوخ الذي أخبر به النبي ﷺ. وفيه الرد على نظرية دارون أنَّ أصل الإنسان قرد.

٢ - التحذير من جرائم اليهود.

٣ - تشديد اليهود سبب في تشديد الله عليهم.

٤ - تقديم السؤالات على بيان سبب ذبح البقرة هو تأكيد لتشدد اليهود، وتعنتهم.

٥ - سوء أدب اليهود مع رسول الله موسى ﷺ بقوله: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾.

٦ - فضح اليهود في دسائس القتل.

٧ - الإيمان بالبعث بأن الله تعالى يحيي الموتى.

٨ - قال الشيخ الشنقيطي في قصة أهل السبت: «أجمل قصتهم هنا وفصلها في سورة الأعراف في قوله: ﴿وَسَعَاهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ أَتَيْ كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَكَ فِي السَّبْتِ إِذَا تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبَّتْهُمْ شَرَعاً وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قَاتَ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٤].».

٩ - ينظر: خارطة موقع مدينة إيلات في الملحق.

﴿ثُمَّ قَسْتَ قُلُوبَكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهَيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقْ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ يُغَنِّفِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَنْظَمْتُمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَنَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّمَا وَإِذَا حَلَّا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتَحْدِثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَيْنَكُمْ لِيُحَاجِجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ وَمَنْهُمْ أُمِيَّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَبَ إِلَّا أَمَانَىٰ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظْنُونَ ﴿٧٧﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْثُرُونَ الْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ لِيَسْتَرُوا بِهِ ثُمَّ نَقْلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّنْهَا كَثُرَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٨﴾﴾

التفسير:

٧٤ - وبعد رؤية هذه الآيات الواضحات لم تُذعنوا ولم تستجيبوا، مما أدى إلى قسوة قلوبكم، إذ لم تؤثر فيها الموعظة، فهذه القلوب لم تلين، ولن

تخشع، فهي مثل الصخرة، بل هي أشد قسوة منها؛ لأن الصخور تتأثر، وبعضها يخرج منه المياه الكثيرة فتجري أنهاراً، وبعضها يتصدع فتخرج منه العيون، وبعضها يهوي من أعلى الجبال خوفاً من الله تعالى، وليس الله بغافل عما عملون، بل هو عالم به.

٧٥ - أفترجُون - أيّها المؤمنون - أَن يُصَدِّقُوكُم اليهود، ويَدْخُلُوا في دينكم؟ وثمة طائفة من أحبارهم كانوا يسمعون كلام الله في التوراة وما فيها من الأحكام، ثم يعتمدون تغييره من بعد ما فهموه، وهم يعلمون أنّهم يرتكبون الإجرام بتحريف الكلام.

٧٦ - وإذا لَقِيَ منافقو اليهود الذين صَدَّقو بالله ورسوله قالوا: صَدَّقْنَا أنَّ مُحَمَّداً رسول الله، وإذا انفرد بعضهم ببعض قالوا عاتيين ومستنكرين عليهم: أتخبرون أصحابَ مُحَمَّدَ بما يَبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ في التوراة من صفةِ مُحَمَّدٍ؛ لتكون الحجة للمؤمنين عليكم يوم القيمة؟ أَفَلَيْسَ لَكُمْ عقولٌ تمنعكم من ذلك الحديث، وترفع عنكم الملامة؟!

٧٧ - أولاً يعلم هؤلاء اليهود الضالّون أنَّ الله تعالى يعلم ما يخفون من الكفر، وما يظهرون من الإيمان المكذوب؟

٧٨ - ومن هؤلاء اليهود طائفة من الجهلة العوام الذين لا يعلمون القراءة والكتابة، ولا يعرفون من التوراة سوى سماع الأكاذيب والظنون الفاسدة.

٧٩ - يُهَدِّدُ الله تعالى، ويتوعد بالهلاك لهؤلاء الذين يحرّفون التوراة، ويزعمون أنّها منزلة من عند الله تعالى؛ لينالوا به عرض الدنيا. وهذا الوعيد بالهلاك بسبب تحريفهم التوراة، ويؤكّد ذلك التهديد؛ بسبب ما يجمعون من المال الحرام.

الفوائد والاستنباطات:

١ - تقرير شدة قسوة قلوب اليهود.

٢ - الحجر الرملي هو الحجر الوحيد الذي تتوافر فيه شروط ثلاثة (يسمح للمياه أن تتحرك بداخله بسهولة ويسر - يسمح بتخزين كميات هائلة من المياه في جوف الأرض - تخرج المياه منه عذبة صالحة للشرب مكونة عيوناً عذبة). ويعتبر الحجر الجيري أكثر الصخور امتلاءً بالشقوق في العالم؛

لأنَّه الأقل قدرة على امتصاص الماء؛ لضيق المسام بين الحبيبات. (أسس علم الجيولوجيا: من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنن بدولة تركيا ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ص ٢٥).

- ٣ - عِظُم خطورة تغيير أحكام الله تعالى.
- ٤ - فَضْح مؤامرات اليهود والتحذير من مكايدهم.
- ٥ - شدة عقوبة الذين يتلاعبون بأحكام الله تعالى.
- ٦ - فَضْح اليهود لخداعهم باستخدام منهج المنافقين.
- ٧ - ينظر: صورة الأنهر التي تفجر من الحجارة، كما في الملحق.

﴿وَقَالُوا نَتَمَسَّنَ السَّارِ إِلَّا أَيْكَامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخْذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ إِنَّمَا تَفْلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾٨٠﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَاتٍ وَاحْتَطِطْتُ بِهِ حَطِيتَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾٨١﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾٨٢﴿ وَإِذَا خَذَنَا مِيقَاتِنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَكِينِ وَقُولُوا لِلْتَّاسِ حُسْنَاتِنَا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَوَةَ مَمْ تَوَلَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْشُرْتُ مُعَرِّضَوْنَ ﴾٨٣﴿ وَإِذَا خَذَنَا مِيقَاتِكُمْ لَا شَفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَرِكُمْ إِنَّمَا تَرْتَمِيْتُمْ وَأَنْشُرْتُ مَتَهَدُونَ ﴾٨٤﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْنِلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَرِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ يَا إِلَّا إِنَّمَا تَعْدُونَ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى تُقْدُوْهُمْ وَهُوَ حَرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكُفُّونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَزْنٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرْدُونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾٨٥﴾

التفسير:

- ٨٠ - وقالت طائفة مغرورة من اليهود للنبي ﷺ: لن ندخل النار إلا أياماً قلائل. فرَدَ الله تعالى عليهم بأن يجيبهم النبي ﷺ منكراً عليهم، وبطلاً

دعواهم: هل أعطاكم الله الميثاق بهذا؟ فإن الله لا يخلف العهد، بل إنكم تفترون على الله الكذب.

٨١ - ليس الأمر كما زعمتم، بل الحق حكم الله تعالى: أنَّ مَنْ اقْتَرَفَ خطيئة، وتمادى في الواقع في الآثام، كالشرك بالله، ولم يَتُّبْ، فهو لاءُ البداء عن رحمة الله سبحانه من أهل النار ماكثون فيها أبداً.

٨٢ - وأمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَعَمِلُوا بِذَلِكَ فَهُؤُلَاءِ أَصْحَابُ الدرجاتِ الْعَالِيَّةِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هُمْ فِيهَا مَاكِثُونَ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أبداً.

٨٣ - وَإِذْكُرُوا يَا ذَرِيَّةَ يَعْقُوبَ ﷺ - لِمَا لَنَا مِنْ الْعَظَمَةِ - حِينَ أَخَذْنَا عَلَيْكُمُ الْعَهْدَ الْمُؤْكَدَ فِي التُّورَاةِ، بِأَنْ تُوَحِّدُوا اللَّهَ سَبَّاحَهُ، وَتُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَنْ تُحْسِنُوا بِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا بِالْقَوْلِ وَالْفَعْلِ، وَأَنْ تُحْسِنُوا بِأَصْحَابِ الْقِرَابَةِ، وَالْأَوْلَادِ الَّذِينَ فَقَدُوا آبَاءِهِمْ وَلَمْ يَبْلُغُوا الْحَلَمَ، وَبِالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ أَسْكَنَتْهُمُ الْحَاجَةَ، وَلَا يَمْلُكُونَ مَا يَغْنِيُهُمْ، وَأَنْ تَقُولُوا لِلنَّاسِ أَطْيَبُ الْكَلَامَ، وَتُؤَدُّوا فَرْضُ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا وَالزَّكَاةَ لِمَسْتَحْقِيقِهَا، ثُمَّ أَعْرَضْتُمْ وَرَفَضْتُمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا أَوْفَوْا بِهِ، وَأَنْتُمْ مُسْتَمْرِرُونَ فِي إِعْرَاضِكُمْ.

٨٤ - وَإِذْكُرُوا حِينَ أَخَذْنَا عَلَيْكُمُ الْعَهْدَ الْمُؤْكَدَ فِي التُّورَاةِ أَلَا يُقْتَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًاً، وَلَا يَعْتَدِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْطَّرَدِ مِنْ دَارِهِ، وَالْإِجْلَاءِ عَنِ الْأُوْطَانِ، ثُمَّ اعْتَرَفْتُمْ بِذَلِكَ الْمِيثَاقَ وَأَنْتُمْ تَشَهِّدُونَ بِلُزُومِهِ وَصِحَّتِهِ.

٨٥ - ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ الْيَهُودِ الْمُعَاصِرُونَ لِلْعَهْدِ النَّبِيِّيِّ تَنْقِضُونَ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ، فَيُقْتَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًاً، وَيُطْرَدُ بَعْضُكُمْ بَعْضًاً، مَتَّعَوْنِينَ فِي ذَلِكَ مَعَ غَيْرِكُمْ بِالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ، وَإِذَا وَقَعَ أَحَدُهُمْ فِي الْأَسْرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَفْدِي نَفْسَهُ بِمَا وَافَقْتُمْ عَلَى ذَلِكَ حَسْبَ حَكْمِ التُّورَاةِ كَمَا تَرَعَمُونَ، أَفْتَصَدُّقُونَ وَتَعْمَلُونَ بِعَصْرِ أَحْكَامِ التُّورَاةِ وَتَكَذِّبُونَ بِعَصْرٍ؟ مَا أَقْبَحَ هَذَا الْفَعْلُ، فَلَيْسَ عَقْوَةَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا ذُلًَّا وَهُوانًا فِي الدُّنْيَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُلَاقُونَ أَشَدَّ الْعَذَابِ الْمُوجَعِ، وَلَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَنْ أَفْعَالِكُمْ وَجَرَائِمِكُمْ، وَسِيَحَاسِبُكُمْ عَلَيْهَا.

الفوائد والاستنباطات:

١ - تقرير المواثيق التي أخذت على بني إسرائيل ومخالفتهم لها.

٢ - لا يتحقق الإيمان إلا بأخذ كل ما جاء من عند الله.

- ٣** - التحذير من اليهود بـأَنَّ سفك الدماء والتهجير من شيمهم فيما بينهم، فكيف يكون المصير مع غيرهم؟
- ٤** - التحذير مِنْ نَفْضِ اليهود للمواثيق؛ لأنَّهم نقضوا المواثيق الربانية، فمن بابِ أَوْلَى نقض مواثيق الآخرين.
- ٥** - وجوب الإيمان بكلٌّ ما جاء من عند الله تعالى من غير تفريق.
- ٦** - ثبوت العقاب لِمَنْ يَرْمِنْ ببعض ما جاء من عند الله، ويُكَفِّرُ ببعضها الآخر.
- ٧** - المواثيق التي أخذها الله تعالى علىبني إسرائيل كلها أحکام ترتقي بالمجتمع، وتحقق له الأمان، ولكنهم تركوها.
- ٨** - اتفاق الأديان في التوحيد والأحكام.
- ٩** - وجوب رعاية حقوق الخلق وحسن التعامل معهم بعد حَقُّ الله تعالى.
- ١٠** - التنبيه على عَظَمِ جُرْمِ مَنْ قال على الله تعالى بغير علم، والتحذير منه، وأنَّه مسلك من مسالك اليهود وطباعهم المنحرفة.
- ١١** - عدل الله تعالى في جزائه على خلقه، وإحسانه على عباده المؤمنين.
- ١٢** - وجوب مراقبة الله تعالى في السرّ والعلن، إذ هو سبحانه مُظَلِّع على أعمال العباد غير غافل عنه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيَّنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 الْبَيْنَتَ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ أَفْكَلَمَا جَاءَ كُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا نَهَى أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبِرُمْ فَقَرِيقًا
 كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْنُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ يُكَفِّرُهُمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ
 وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَقْبِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
 كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿٨٨﴾ يُسْكِمَا أَشْرَوْا
 بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكُفُّرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدًا أَن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكُفَّارِ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٨٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا يُؤْمِنُوا بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ
 فَلِمَ تَقْنُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾

التفسير:

٨٦ - هؤلاء البداء عن الحق من اليهود الذين استحبوا عرض الدنيا الفانية على نعيم الآخرة الباقي، فلا يفتر عنهم عذاب جهنم، وليس لهم ناصر ينصرهم من ذلك.

٨٧ - وقسمًا لقد أعطينا موسى ﷺ التوراة، وبعثنا بعد ذلك جمعًا من الرسل، وأعطينا عيسى ابن مريم المعجزات الباهرات، وعززناه وقويناه بجبريل ﷺ، ثم يُوَبِّخُ الله تعالى المستكبرين والقتلة من اليهود: أفكتم جاءكم رسول من عند الله يخالف شهواتكم ومعاصيكم استعليتكم عليه، فطائفة منهم كذبتموهם، وطائفة قتلتهم؟

أخرج ابن أبي حاتم بسند ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه: «روح القدس جبريل».

٨٨ - ولما دعا النبي ﷺ اليهود إلى الإسلام رفضوا، وصرروا أن قلوبهم لا تفقه؛ لأنها مغلقة ومغطاة تمنعهم من الاستجابة لدعوته. فرداً عليهم

الله تعالى : بِأَنَّ اللَّهَ طردهم وأبعدهم من رحمته ؛ بسبب تكذيبهم النبي ﷺ ، فلا يؤمنون إلا القليل ، أو يؤمنون قليلاً ببعض الكتاب .

٨٩ - سبب النزول :

أخرج ابن أبي حاتم بسند ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معروف وداود بن سلمة رضي الله عنهما : يامعشر اليهود ، اتقوا الله وأسلموا ؛ فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ، ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته . فقال سلام بن مشكم أخوبني النضرير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَتَبْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْقَطُونَكُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

التفسير :

وحينما جاءهم النبي ﷺ بالقرآن من عند الله موافقاً لما معهم من التوراة قبل تحريفها ، وكانوا قبل بعثة النبي ﷺ يستنصرون به على أعدائهم من المشركين ، فلما بعث الله تعالى رسوله ﷺ حدوا به وكذبوا ، وبسبب ذلك استحقوا العذاب من رحمة الله تعالى .

٩٠ - يذم الله تعالى كفرا اليهود الذين استحبوا لأنفسهم الباطل ، ورضوا به ، بتكذيبهم القرآن العظيم حسداً للنبي ﷺ والمؤمنين على نعمة إزال القرآن الكريم ، فاستحقوا العقوبة بغضب من الله تعالى يتلوه غضب ؛ لكثره جرائمهم ، وللمكذبين عذاب أليم يذلّ لهم .

٩١ - وإذا دُعيَ هؤلاء اليهود إلى الإيمان بالله تعالى ، فإنَّهم يرفضون ، ويذعنون أنهم يصدقون للتوراة ، ويكتذبون بما أنزل من الكتب بعد نزول التوراة ، ولقد كذبوا على أنفسهم ؛ لأنَّ ما نزل من القرآن العظيم حق موافق ومؤيد لما في التوراة قبل تحريفها ، ويردُّ الله تعالى عليهم بأمر النبي ﷺ أن يستنكرون عليهم بقوله : إذا كنتم قد آمنتُم بما أنزل عليكم ، فلماذا تقتلون أنبياءكم من قبل ؟ !

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - اليهود يعلمون رسالة رسول الله ﷺ.
- ٢ - خسارة اليهود في الآخرة.
- ٣ - قال الشيخ الشنقيطي في بيان البيانات: «لم يبيّن هنا ما هذه البيانات؟ ولكنها بيّنها في مواضع أخرى كقوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُكُمْ بِشَأْنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الظِّلِّينَ كَهْيَةً الْطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَبْرِئُهُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيِي الْمَوْتَىٰ يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَنْسِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَخَّلُونَ فِي بُيوْتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].
- ٤ - ينظر: صورة شجرة المرسلين؛ لبيان الرسل من بعد موسى، كما في الملحق.
- ٥ - المؤمن الحق هو الذي لا يستبدل بدینه عرضاً من الدنيا الزائلة.
- ٦ - اتباع هوى النفس سبيل للاستكبار عن الحق، ورده مع ظهور الحجّة والبرهان.
- ٧ - التنبية على ذم الحسد، وأنه من طبائع اليهود، والتحذير من الاتّصاف به بسوء عاقبته في الدارين.
- ٨ - تراكم السيئات وتتابعها دون التوبة والرجوع عنها مدعاة لتتابع غضب الله تعالى على أهلها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخْذَنَا عَجْلًا مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾٩١
 وَإِذَا أَخْذَنَا مِيقَاتَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الظُّرُورَ حَذَّرُوا مَا إِنَّنَا كُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجْلَ بِكُثْرَهُمْ قُلْ بِاسْمَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ
 إِيمَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾٩٢﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنَّدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ
 دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾٩٣﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ
 وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾٩٤﴾

التفسير:

٩٢ - قسمًاً لقد جاءكم موسى ﷺ بالمعجزات الواضحات، ثم عبدتم العجل من بعد غياب موسى، حينما ذهب إلى جبل الطور في صحراء سيناء، وأنتم بذلك ظالمون لأنفسكم ولغيركم بتجاوزكم لحق الله تعالى.

٩٣ - واذكروا حين أخذنا عليكم العهد المؤكّد على العمل بما في التوراة، ثم نقضتم العهد، فهداكم برفتنا لجبل الطور الذي جعلناه كالظلة فوق رؤوسكم، وأمرناكم أن تعملوا بالعهد بعزم وحزم، وإلا أسقطنا الجبل عليكم. فأجبتم بأنّكم سمعتم القول، وعصيتم الأمر؛ لأنّ عبادة العجل قد تغلغلت حتى خلصت إلى قلوبكم وامتزجت بها، ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يذمّهم على هذه الجريمة فيقول: بئس هذا العمل والضلالة إن كنتم مصدّقين بالله ورسوله .

٩٤ - أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يردّ على أولئك اليهود الذين زعموا أن الجنة خاصة بهم، فليذمّوهم على أنفسهم بالموت إن كانوا صادقين في دعواهم.

٩٥ - ولن يفعلوا ذلك أبداً بسبب اقترافهم الجرائم التي سيحاسبون عليها. والله تعالى ذو علم بذنوب المعتمدين. أخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لَوْ تَمَنَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ لَمَاتُوا».

الفوائد والاستنباطات:

١ - سبب تعنت بنى إسرائيل هو تكذيبهم موسى ﷺ .

- ٢ - شدة حرص اليهود على الحياة.
- ٣ - الظلم درجات، وأشدّه الشرك بالله تعالى.
- ٤ - إرسال الله تعالى موسى ﷺ بالمعجزات التي نفعتبني إسرائيل في علاج مشكلاتهم، وسدّ احتياجاتهم.
- ٥ - ينظر: صورة جبل الطور في صحراء سيناء، كما في الملحق.
- ٦ - بيان عادة اليهود في نقض المواثيق.
- ٧ - زعم اليهود أن الجنة لهم خاصة.
- ٨ - الرد على مزاعم اليهود.
- ٩ - الإيمان لا يتحقق بالدعوى، فدليله العمل بمقتضياته من الطاعة والاتّباع.

﴿وَلَنِجْدَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمًا يُحَدُّهُمْ لَوْ يُعَمِّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجِحٍ هُوَ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمِّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾٩٦﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجَبَرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾٩٧﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجَبَرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوًّا لِّلْكُفَّارِينَ ﴾٩٨﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَسِّقُونَ ﴾٩٩﴾

التفسير:

٩٦ - يؤكّد الله تعالى أنَّ محمداً ﷺ سيد هو لاء اليهود أشد الناس رغبة في طول الحياة الدنيا، وأشد حرصاً من الذين أشركوا، واقتصرت رغبتهم على الدنيا؛ لأنهم لم يؤمنوا بالأخرة، يتمنى اليهودي لو يطّول عمره، فيعيش ألف سنة، ولكن هذا التعمير في الحياة لا يُنجيه ولا يبعده عن عذاب الله. والله تعالى مُطلع على أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

٩٧ - سبب النزول:

أخرج البخاري بسنده عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام رضي الله عنه بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن

ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: **أخبرني بهن جبريل أنفًا**، قال: جبريل؟ قال: **نعم**، قال: **ذاك عدو اليهود من الملائكة**، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ رَزَّالٌ عَلَى قَلْبِكَ إِذَا دَرَّنَ اللَّهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدَىٰ وَشَرِىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحديث، وفي رواية الإمام أحمد والترمذى والنسائي وابن أبي حاتم صرّح بسبب النزول. (ينظر: التفسير الصحيح ٢٠٢/١).

التفسير:

٩٧ - أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يرد على اليهود الذين يعادون جبريل ﷺ فيقول: مَنْ كان عدواً لجبريل فإنه نَزَّل القرآن الكريم على قلبك بأمر الله تعالى موافقاً للكتب المنزلة المتقدمة، وفيه الهدایة الكاملة، والبشرة السارة للمؤمنين في الدنيا والآخرة. ومَنْ كان عدواً لله بمخالفة دينه، وعدواً لملائكته بكراهيتهم، وعدواً لرسله بتکذيبهم، فإن الله تعالى عدو لهؤلاء الجاحدين.

٩٨ - وقسمًا لقد أنزلنا - لما لنا من العظمة والقدرة - إليك أيها الرسول الدلائل الباهرة والبراهين الساطعة التي تدل على صدق رسالتك، وما يكذب بها إلا المخالفون أمر الله تعالى.

الفوائد والاستنباطات:

١ - الإخبار عن أمر مستقبلي في محبة اليهود الحياة الدنيا على مر الأزمان؛ لأنهم لم يصدقوا بالآخرة.

٢ - في الآية (٩٨) إخبار عن أمر مستقبلي بأن كلَّ الذين يعادون الملائكة، فإنَّ الله عدوُّ لهم، وسيجازيهم على ذلك.

٣ - عداوة اليهود لجبريل لأنَّه يفضح مؤامراتهم، ويهتك أستارهم وموكيدهم.

٤ - تأييد الله تعالى نبيه محمداً ﷺ.

٥ - القرآن متواافق مع الكتب السماوية قبل تحريفها.

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَنَدَهُ فِرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾١٠٣﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَنَدَهُ فِرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَيْتَبَ اللَّهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَانُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾١٠٤﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهُوا أَشَيَّطِينٌ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الْشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ الْأَنَاسَ أَسْحَرٌ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلَّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتَنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ أَشْرَطَهُ مَا لَدُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِهِ وَلِئِنْ كَانُوا مَا شَرَكُوا بِهِ أَنْفَسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾١٠٥﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقْوَى لِمَثُوبَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾١٠٦﴾

١٠٠- سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم عن ابن عباس رض قال: قال مالك بن الصيف - اليهودي - حين بعث رسول الله صل وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد إليهم في محمد صل: والله ما عهد إلينا في محمد ولا أخذ علينا ميثاقاً، فأنزل الله عل: **﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَنَدَهُ فِرِيقٌ مِنْهُمْ﴾**.

(ينظر: التفسير الصحيح ١/٢٠٤).

التفسير:

يُوَبِّخُ اللَّهُ تَعَالَى أُولَئِكَ الْيَهُودُ الَّذِينَ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ إِبْرَامُ الْعَهُودِ، ثُمَّ تَنَقْضُهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ لَأَنَّ أَكْثَرَ الْيَهُودِ لَا يُصَدِّقُونَ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

١٠١ - وحينما جاء اليهود محمد صل بالقرآن الكريم الموافق لما معهم من البشارات الباقية في التوراة، ترك طائفة من علمائهم التوراة وأعرضوا عنها؛ لأنّها تدلّ على نبوة محمد صل، كأنّه لم يرد فيها ذكر النبي صل، ولم يعلموا شيئاً عنه!

١٠٢ - ولما أهمل هؤلاء اليهود الحقّ من ربّهم سلكوا طريق الباطل، واقتفيوا آثار السحر التي كانت تقرؤها الشياطين على عهد سليمان

عليه الصلاة والسلام وتنسبها إليه، فبِرَأْ الله تعالى سليمان من السحر بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ﴾ فإنه لم يكن ساحراً، ولم يُعَلِّم الناس السحر، ولكن الشياطين كفروا بتعليم الناس السحر، وبتعليمهم التفريق بين الزوجين الذي أنزل على الملائكة هاروت وماروت في مدينة بابل التي لا تزال باقية في العراق. وهذا المكان فضحا السحرة بأنهم كفروا، وأن السحر كفر، فلا يُعلِّمان من أحد إلا بعد النصيحة، إذ يقولان: إِنَّا اخْتَارَ وَابْتَلَاهُ بِتَعْلِيمِ السُّحُورِ الَّذِي هُوَ كُفُّرٌ فَلَا تَكْفُرْ. فمن خاف الله نجا، فيتعلم الناس الراغبون في ذلك من الملائكة، ولا يستطيع السحرة أن يضرُوا بالسحر أحداً إلا بمشيئة الله، وهذا الذي يتعلمونه إنما هو أعظم ضرر لهم؛ لما فيه من الأذى والشرك؛ لأنَّه استعانة بغير الله تعالى، فلا ينفعهم ذلك أبداً.

ولقد علم اليهود وتحققوا بأنَّ من اختار السحر، وترك الحق ما له في الآخرة من نصيب في الخير، ثم ذمَّهم الله تعالى على فعلِهم هذا، بأن استَحْبُوا السحر والكفر، وتركوا الإيمان فلم يكن لهم نصيب في الجنة بالآخرة، ولو كان اليهود يعلمون علمًا ينتفعون به لما فعلوا ذلك.

١٠٣ - ولو أنَّ اليهود صدقوا بالله وحافظوه، لأشابهم الله ثواباً أفضل مما شغلوا به أنفسهم من السحر، لو كانوا يدركون عظمة ثواب الله تعالى.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (١٠٠) إخبار عن نقض اليهود للعهود في الماضي والمستقبل.

٢ - في الآية (١٠٢) إخبار عن تعليم الشياطين السحر في الماضي والمستقبل.

٣ - تقرير نبأ رسالة النبي ﷺ في التوراة.

٤ - براءة سليمان ﷺ من السحر.

٥ - تقرير اتباع اليهود للسحر.

٦ - تقرير حقيقة السحر.

٧ - التحذير من استمرار اليهود في نقض العهود في كل زمان.

٨ - إنكار اليهود رسالة النبي ﷺ.

٩ - ينظر: خريطة محافظة بابل في العراق، وفيها تمثال اسمه أسد بابل، كما في الملحق.

١٠ - تَعَلُّم السحر كفر.

١١ - هاروت وماروت ملكان مطيعان الله تعالى.

١٢ - من أعمال السحر التفريق بين الزوجين وهو محرام، ولتقويض مهمات السحرة يُستَحِبُ التقرب بين الزوجين والإصلاح بينهما، ووجوب التواصل بين الزوجين في جميع أنواع التواصُل والتقارب، والدليل الحديث التالي في الفائدة التالية.

١٣ - من أهم الكبائر التي يسعى لها إبليس: التفريق بين الزوجين، كما صَحَّ عن النبي ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء. ثم يبعث سراياه. فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنـة. يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئاً. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فَرَقْتُ بينه وبين امرأته. قال: فيديـه منه، ويقول: نعم أنت». (صحـح مسلم، صفات المنافقـين برقم ٢٨١٣).

١٤ - السـحـرة لا يـقدـرون أن يـضـرـوا أحدـاً، أو يـسـحـروا إـلاـ بما كـتبـ اللهـ تعالىـ.

١٥ - مـعـرـفـةـ الـيـهـودـ بـمـصـيرـ السـحـرـةـ وـمـرـيـدـيـهـمـ فـيـ الـآـخـرـةـ بـسـبـبـ اـسـتـحـبـاـبـهـمـ السـحـرـ.

١٦ - وـهـمـ كـثـيرـ مـنـ الـمـفـسـرـينـ فـيـ تـفـسـيرـ الـآـيـةـ (١٠٢) بـسـبـبـ إـعـرـابـ (ما) فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَكَائِنِ﴾ نـافـيـةـ، وـالـلـوـاـوـ اـسـتـئـنـافـيـةـ، وـالـصـحـيـحـ أـنـهـ مـوـصـولـةـ بـمـعـنـىـ (الـذـيـ)، وـالـلـوـاـوـ عـاطـفـةـ.

١٧ - إـنـ الـمـؤـمـنـ الـمـهـتـدـيـ بـهـدـيـ اللهـ وـشـرـعـهـ يـطـلـبـ الـعـلـمـ النـافـعـ، وـلـاـ يـتـعـلـمـ مـاـ يـضـرـهـ وـلـاـ يـنـفعـهـ.

﴿يَتَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا أَنَّا نَظَرْنَا وَأَسْمَعْنَا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَّلِيمٌ ﴾١٠٤ مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَنْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رِبِّكُمْ وَاللَّهُ يَحْصُلُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾١٠٥ مَا نَسِنَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِنْ لَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾١٠٦ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾١٠٧ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُو رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلٍ وَمَنْ يَتَبَدَّلُ الْكُفُرَ بِإِلَيْمَنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءُ السَّبِيلِ ﴾١٠٨﴾

التفسير:

١٠٤ - نهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا للنبي ﷺ: راعينا، أي: أرعننا سمعك، وراع أحوالنا، قاصدين أن يجعلهم موضع رعايته، وأمرهم الله أن يقولوا: انظروا إلينا وتعهدنا؛ وذلك لأن اليهود كانوا يقولون هذه الكلمة (راعينا) يقصدون سببه ونسبته إلى الرعونة والحمامة، وللمكذبين الله ورسوله عذاب موجع. قال القاسمي: «وهذه الآية نظير قوله تعالى في سورة النساء آية (٤٦): ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحِرِّفُونَ الْكِتَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَهُولُونَ بَعْيَانًا وَعَصِيَّنَا وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَعَانًا لَيْأَنِ يَأْسِنُهُمْ وَطَعَنًا فِي الَّذِينَ لَوْ أَنَّهُمْ قَاتُلُوا سَعَانًا وَأَطْعَنَا وَأَسْمَعَ وَأَنْظَرَنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ يُكَفِّرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (محاسن التأويل ٢١٦/٢).

١٠٥ - ما يحب كفرة أهل الكتاب وال MSR كين أن ينزل الله عليكم - أيها المؤمنون - أي خير من ربكم، والله يختص بالنبوة والهداية من يشاء من عباده، وهو صاحب العطاء الكبير الذي لا ينفذ.

١٠٦ - ما نُبدِّل من حكم آية أو نمحها من قلبك - أيها الرسول - ننَزِّل أنفع لكم منها، أو ننَزِّل آية شبيهة بها، ألم تعلم - يا رسول الله - أنت وأمتك أنَّ الله على كل شيء قادر، لا يعجزه شيء؟

١٠٧ - ألم تعلم - أيها الرسول - أنت وأمتك أنَّ الله هو المتصرف في شؤون الخلق في السموات السبع والأرضين السبع، وليس لكم ولني من دون الله يتولى شؤونكم، ولا معين ينجيكم من عذاب الله؟

١٠٨ - أتریدون - أيها الناس - أن تسألوا رسولكم من الأشياء نظير

ما سأل قوم موسى نبيّهم من قبل؟ ومن استحبَّ الكفر، وترك الإيمان، فقد خرج عن دين الله تعالى.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير علو قدر النبي محمد ﷺ عند الله تعالى.
- ٢ - تقرير حسد المشركين والكافر من أهل الكتاب للمؤمنين.
- ٣ - في الآية (١٠٥) إخبار عن حسد كُفَّار أهل الكتاب والمشركين للمؤمنين.
- ٤ - تقرير حقيقة النَّسْخ في القرآن الكريم، وأنَّه نعمة من الله تعالى على عباده.
- ٥ - النهي للصحابة رضي الله عنهم عن قول (راعينا) للنبي ﷺ لمخالفة اليهود الذين يُسيئون الأدب مع أنبياء الله تعالى صلَّى الله عليهم وسلم.
- ٦ - حماية النبي ﷺ من استهزاء اليهود.
- ٧ - وجوب التأدب مع النبي ﷺ.
- ٨ - التحذير من عداوة المشركين وكفرة أهل الكتاب.
- ٩ - الرد على من يُنكر النَّسْخ، وهو رفع حكم شرعي بحكم شرعي متاخر عنه.
- ١٠ - النهي عن سؤال النبي ﷺ عن أشياء مسکوت عنها في القرآن والسنة، فقد صحَّ عنه أنه قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جَرَمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»، وصحَّ عنه أيضًا أنه قال: «دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم سُؤالَهُمْ واختلافَهُمْ على آنِيَّتِهِمْ، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم». (صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال برقم ٧٢٨٩ - وباب الافتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم ٧٢٨٨. وصحيح مسلم كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه برقم ١٣٣٧).
- ١١ - الإشارة إلى اقتران خلق السموات والأرض، وينظر: تفسير سورة التوبة الآية (٣٦).

١٢ - لا ناصر إلا الله تعالى، فهو ينصر من يشاء بما يشاء.

﴿وَدَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ لَوْ يَرِدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّوْا الرَّزْكَوَةَ وَمَا نُقِيمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ حَيْرَ تَجْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُوكُمْ بَصِيرٌ ﴾١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَا تُؤْمِنُ بِرَهْنَتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴾١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ مِنْ أَسْلَمَ وَجَهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ وَعِنْدَ رِبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾١١٢﴾

١٠٩ - سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الحسن عن ابن عباس رض قال: فكان حبيبي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصّهم الله برسوله، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَدَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ لَوْ يَرِدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. (ينظر: التفسير الصحيح ٢٠٠/١).

التفسير:

حرص كثير من اليهود والنصارى على أن يرجعواكم بعد إيمانكم كفراً بالله، بسبب حقدتهم الدفين في نفوسهم، من بعد ما ظهر لهم صدق محمد صلوات الله عليه ورسالته، وأعرضوا عنه، فلا توأخذوه ولا تُقرّعوه، إلى أن ينزل الله تعالى حكماً آخر، كالإذن بقتالهم. إن الله على كل المخلوقات قدير، لا يعجزه منها شيء.

فقد ثبت عن ابن عباس رض: في قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ نسخ ذلك كله بقوله: ﴿فَاقْنُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُوكُمْهُ﴾ [التوبه: ٥]، وقوله: ﴿قَنْلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِبُّونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَبَ حَتَّى يُعْطُوا الْحِرْزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ صَغِرُونَ﴾



[التوبه: ٢٩]، فنسخ هذا. وصحّ عن النبي ﷺ أنه كان وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله ﷺ : ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَنْقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال الله : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرِدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وكان النبي ﷺ يتأنّل العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيه، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبایعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. (صحیح البخاری - التفسیر - آل عمران، باب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا﴾ برقم ٤٥٦٦).

١١٠ - يأمر الله تعالى المؤمنين بأداء الصلاة في أوقاتها وأركانها، ويدفع الزكاة المفروضة للمستحقين، وكل خير يقومون به يجدون ثوابه عند الله في الآخرة. إن الله بصير لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

١١١ - زعم اليهود أن الجنة خاصة بهم، وكذلك زعم النصارى، وهذه أوهام باطلة تمنّوها على الله تعالى بغير حق، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يرد عليهم، بأن يأتوا بالحجّة والدليل على صحة ما يزعمونه إن كانوا صادقين في ادعائهم.

١١٢ - إن دخول الجنة ليس بالأمني والتمني، بل يدخل الجنة من أخلص العبادة لله تعالى، وهو متبع للرسول ﷺ، فمن فعل ذلك فله الثواب من عند الله بالجنة، ولا خوف عليه من العذاب، ولا يعتريه حزن على ما فاته من متع الدنيا الزائل.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في الآية (١٠٩) إخبار عن سعي كُفّار اليهود والنصارى إلى ردّة المؤمنين في الماضي والمستقبل.
- ٢ - تقرير عداوة كفرة أهل الكتاب للمؤمنين.
- ٣ - أهمية الإخلاص في دخول الجنة.

- ٤** - في الآية (١١٠) إخبار عن أمر مستقبلٍ وبشري للمؤمنين أنَّ كُلَّ ما يفعلون من خيرٍ صغيرٍ أو كبيرٍ فإنَّ ثوابه عند الله تعالى مضمونٌ.
- ٥** - التحذير من مكايِد كفراً أهل الكتاب في إيقاع المؤمنين في دائرة الكفر والإلحاد.
- ٦** - شدة حسد كفراً أهل الكتاب للمؤمنين.
- ٧** - الترغيب في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.
- ٨** - الرد على اليهود والنصارى الذين يزعمون أنَّ الجنة خاصة بهم.
- ٩** - إشارة لما للصلوة والزكوة من أثرٍ واضحٍ في تحصين الفرد والمجتمع من مكايِد الأعداء.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلَوُنَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمَهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَابِيْهِنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خُزْنَى وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلَلَّهِ الْمَسْرُقُ وَالْمَغْرِبُ فَإِنَّمَا تُؤْلُو فَنِيمَ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا أَنْخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ فَلَيَنْتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَفْعُلُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

١١٣ - سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم بسند ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلوات الله عليه وسلم أتتهم أخبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلوات الله عليه وسلم. فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيءٍ، وكفر بعيسى وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود ما أنتم على شيءٍ، وجحد بنبوة موسى، وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾.

التفسير:

اتهم اليهود النصارى بأنهم ليسوا على شيء من الحقّ، وكذلك اتهم النصارى اليهود بأنهم ليسوا على شيء من الحقّ، والحال أنَّ هؤلاء القائلين يقرؤون التوراة والإنجيل، وكذلك قال الجهلة من مشركي العرب: إِنَّ مُحَمَّداً ليس على شيء من الحقّ، فالله تعالى يفصل بينهم جميعاً فيما اختلفوا فيه من أمر الدين.

١١٤ - يتوعَّد الله تعالى ويوبخ الذين يمنعون عبادة الله في المساجد، ويعملون على هدمها وتخريبها، بأنه لا أحد أشدُّ ظلماً من هؤلاء الظالمين، وهؤلاء لا ينبغي أن يدخلوا المساجد إلا على خوف ووَجل من العقوبة، وجراوئهم في الدنيا ذل وهوان، وفي الآخرة عذاب شديد موجع.

١١٥ - سبب النزول:

أخرج الطبرى بسند ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة. وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله ﷺ أن يستقبل بيت المقدس. ففرحت اليهود. فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿فَدَرَّى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَيْتَكَ قِبْلَةً تَرْضَهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطَرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَنِّهِ بَعْدٌ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فارتاد من ذلك اليهود وقالوا: ﴿مَا وَلَهُمْ عَنْ قِلَّتِهِمْ أُلَّا كَفُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] فأنزل الله ﷺ : ﴿فُلِّلَ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] وقال: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا فَمَ وَجْهُ اللَّهِ﴾ . (ينظر: التفسير الصحيح ٢٠٧/١ - ٢٠٨).

التفسير:

ولله تعالى ملك المشرق والمغرب، فأي جهة تتوجهون إليها في صلاتكم فهناك قبلة الله تعالى، وهي الكعبة المشرفة، إن الله واسع الرحمة بعباده، علیم بأقوالهم وأفعالهم.

١١٦ - افترى كل من اليهود والنصارى والمشركين على الله تعالى ، بأنه

اتخذ لنفسه ولدًا! تقدّس وتنزّه وتعالى عما يفترون، فليس الأمر كما يقولون، بل كل المخلوقات ملك له، خاضعة ومنقادة له.

١١٧ - وهو خالق السموات والأرض على غير مثال سبق، وإذا قدرَ أمراً فإنما يقول له: **﴿كُن﴾** فيكون. وقال ابن كثير عند هذه الآية: «يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه إذا قدرَ أمراً فإنما يقول له: كن فيكون، كن - أي مرة واحدة - فيكون، أي: فيوجد على وفقِ ما أراد كما قال: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْءًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [يس: ٨٢]، وقال: **﴿إِنَّا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [النحل: ٤٠]، وقال: **﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحِدَةٌ كَلْمَجٌ بِالْبَصَرِ﴾** [القمر: ٥٠].

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - وجوب العداوة بين اليهود والنصارى.
- ٢ - خطورة منع الذكر في المساجد وتخريبها.
- ٣ - في الآية (١١٤) إخبار عن أمر مستقبلي في العقوبة بالدنيا والآخرة لمن منع ذكر الله تعالى في المساجد.
- ٤ - تقرير التوجه في الصلاة إلى الكعبة المشرفة.
- ٥ - اختلاف اليهود والنصارى واستعلاء بعضهم على بعض.
- ٦ - تحريم كل ما يمنع ذكر الله تعالى في المساجد.
- ٧ - تحريم تخريب مساجد الله تعالى، ووجوب حمايتها من المخربين والعابثين.
- ٨ - الأمر بإعمار مساجد الله تعالى ماديًّا ومعنوًياً.
- ٩ - عدم تمكين مخربِي المساجد أن يدخلوها بحرية.
- ١٠ - إثبات صفة الوجه لله تعالى ليس في الآية (١١٥)، وإنما في آيات أخرى كما في قوله تعالى: **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْأَكْرَامِ﴾** [الرحمن: ٢٧]؛ لأنَّ المراد بقوله تعالى وجه الله هو الكعبة، كما ثبت عن ابن عباس **رضي الله عنهما**. (ينظر: التفسير الصحيح ٢٠٩/١).

١١ - الإشارة إلى اقتران خلق السموات والأرض، وينظر: تفسير سورة التوبه الآية (٣٦).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا إِيَّاهُ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَهَّدُ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَاهُ أَلَايَتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ إِلَيَّاً حَقِيقِي بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشَكِّلُ عَنْ أَحْكَمِ الْجَعِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنَكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَقَّ تَبَعَّدَ مِلَّتُهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا صَاحِرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوُنَهُ حَقَّ تَلَاقِتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُّ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْيَأِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا بِعَمَّتِي الَّتِي آنَّمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَصَلَّيْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمَيْنَ ﴿١٢٢﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا نَفْعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

١١٨ - سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم بسند ثابت عن ابن عباس رض قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله صل: يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل الله في كلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا إِيَّاهُ﴾. (ينظر: التفسير الصحيح ٢١١/١).

التفسير:

من عnad مشركي العرب أنهم طلبوا من النبي صل أن يُكلّمهم الله تعالى، أو يأتيهم بمعجزة تدل على صدق نبوته. ومثل هذا القول قاله اليهود والنصارى، فقلو لهم متفقة على هذا التعتن والتشدد، على الرغم من وقوع المعجزات الظاهرة التي وَضَّحناها للذين يصدّقون بالله تصديقاً جازماً.

١١٩ - إِنَّا - بما لدينا من العظمة الكاملة والقدرة الشاملة - أرسلناك يا محمد بالدين الحق مبشرًا بنعيم الجنة، مخوفًا من عذاب النار، وأنت

لست مسؤولاً عن المكذبين الملازمين نار جهنم يوم القيمة، وإنما عليك البلاغ.

١٢٠ - ليس اليهود والنصارى براضين عنك أليها الرسول، ولا عن أمتك أبداً، إلى أن تتحقق غايتهم، باتباع دينهم وأهوائهم، قل لهم: إنَّ دين الإسلام هو الدين الصحيح. وقسمًا إن وافقتهم على ذلك بعد ما جاءك من القرآن، فليس لك ولِي ولا نصير ينصرك من دون الله تعالى.

١٢١ - يخبر الله تعالى أنَّ اليهود والنصارى الذين يقرؤون كتبهم قراءة صحيحة دون تحريف، ويتبعونها حقَّ الاتِّباع، فأولئك أصحاب الدرجات العالية هم المصدِّقون بالله ورسوله، وكذلك حال من أُنْزِلَ عليهم القرآن، وأما الذين يحرفون ويبطلون هذه الكتب العظيمة، فهو لاءُ البداء عن الحق خسروا السعادتين في الدنيا والآخرة.

١٢٢ - ينادي الله تعالى ذريةَ يعقوب عليه السلام: أن يعترفوا بنعم الله تعالى الكثيرة عليهم، ومنها جعلُهم أفضل الناس في عالمي زمانهم بكثرة أنبيائهم، وما أُنْزِلَ عليهم من الكتب العظيمة، ثم حذَّرُهم من يوم الحساب، إذ لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل الله منها فدية تنقذها من العذاب، ولا تنفعها شفاعة أحد، ولا أحد يدفع عنها عذاب الله تعالى.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - حقيقة إصرار اليهود والنصارى على إغواء المسلمين.
- ٢ - بيان مكانة مسلمي أهل الكتاب.
- ٣ - الجهل يوقع في المهالك.
- ٤ - تشبة المشركين بـكفرة أهل الكتاب.
- ٥ - الإنذاء عن أمر مستقبلي بعدم رضا اليهود والنصارى عن أهل الإيمان في كل زمان.
- ٦ - التحذير من مواطأة اليهود والنصارى وأنباءهم.
- ٧ - النبي ﷺ غير مسؤول عن الذين يكفرون برسالته.

٨ - في الآية (١٢١) إخبار عن خسارة كُفَّار أهل الكتاب في الماضي والمستقبل .

٩ - وجوب شكر الله تعالى على نعمه العظيمة .

١٠ - الآية (١٢٠) يبينها قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ بِكُلِّ إِعْيَادٍ مَا تَبْغُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥] .

﴿وَإِذْ أَبْتَلَنَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلْمَتٍ فَأَتَمَهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذَرَرِيَّ فَقَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَانًا وَتَجَنَّدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى وَعَهْدَنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِرَا بَيْتَ لِلظَّالِمِينَ وَالْمُكْفِرِينَ وَأَرْكَعَ السُّجُودَ ﴿١٤٥﴾ وَلَذِنْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا إِمَامًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرَبَاتِ مَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرْ فَأُمْتَعِهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٤٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرَرِيَّنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرَنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ أَيَّتِكَ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَبُ وَالْحِكْمَةُ وَيُرِيكُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٩﴾﴾

التفسير:

١٢٤ - يُذَكِّر الله تعالى رسوله ﷺ حين اختبر إبراهيم ﷺ بشرائع من الأوامر والنواهي ، ققام بحقها تماماً ، فبشره الله تعالى بأنه سيجعله للناس قدوة ، فسأل إبراهيم ربه أن يجعل من نسله أئمة . واستجاب الله له ، وأعلمته أنَّ الظالمين منهم لا يشملهم هذا المقام ، بسبب تجاوزهم حدود الله تعالى .

١٢٥ - واذكر - أيها الرسول - للناس حين جعلنا البيت العتيق ملاذاً ومرجعاً للمسلمين ، يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ، ثم يعودون إليه ، وجعلنا فيه طمانينة للنفس من الاعتداء ، ثم أمر الله تعالى بأن يتخدوا من موضع الحجر الذي وقف عليه إبراهيم ﷺ عند بناء الكعبة مكاناً للصلوة فيه ،

وأوصى إبراهيم وابنه إسماعيل ﷺ أن يصونوا البيت من كل دنس ورجس من أجل المتعبدين الذين يطوفون حول الكعبة، والمقيمين للعبادة، والمصلين فيه.

١٢٦ - واذكر أيضاً حين دعا إبراهيم ربه: أن اجعل مكة بلدًا تطمئن فيه النفوس، وارزق أهله المؤمنين أنواع الشمرات، فاستجاب الله تعالى، وذكر أنه منْ كفر منهم فيرزقه قليلاً من النعم، ثم يُلجهه مرغماً إلى عذاب النار، وبئس المال الذي يصير إليه في جهنم.

١٢٧ - واذكر أيضاً - أيها الرسول - للناس حين رفع إبراهيم وإسماعيل ﷺ بناء أساس الكعبة حال كونهما يسألان الله تعالى: ربنا تقبل مثناً أعمالنا ودعائنا. إنك أنت السميع لأقوال عبادك، العليم بأحوالهم، ربنا واجعلنا نحن ومن نسلنا خاضعين لك منقادين لحكمك، وعلمنا شعائر عبادتنا لك، ومناسك حجّنا، وتجاوز عن ذنبينا، إنك أنت التواب على من يتوب من عبادك، الرحيم بهم، ربنا وابعث في ذريتنا رسولاً يقرأ عليهم آياتك، ويعلمهم القرآن والسنة، ويظهرهم من المعاصي. إنك أنت العزيز في نعمته، الحكيم في أمره، وقد استجاب الله تعالى لهذا الدعاء العظيم، كما ثبت عن النبي ﷺ قوله: **أنا دعوة أبي إبراهيم**. (صححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك ٦٠٠/٢ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٤٥).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - علو مكانة النبي الله إبراهيم ﷺ.
- ٢ - استجابة النبي الله إبراهيم ﷺ لجميع الأوامر الربانية.
- ٣ - مقام إبراهيم ﷺ كان ملتصقاً بالبيت، ثم أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه تسهيلاً للطائفين. (ينظر: فتح الباري ١٦٩/٨)
- ٤ - ينظر: صورة المقام وبيان آثار الأقدام، كما في الملحق.
- ٥ - ينظر: صورة قواعد إبراهيم ﷺ، كما في الملحق.
- ٦ - بركة دعاء إبراهيم لا تزال قائمة، ولا نزال ننعم بها في هذه البلاد المباركة.
- ٧ - في الآية (١٢٦) إخبار عن استجابة الله تعالى لدعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الماضي والمستقبل.

٨ - إثبات صفة السمع والعلم والرحمة والعزة والحكمة لله تعالى. والإيمان القلبي بهذه الصفات يستوجب الإيمان العملي بها؛ لأنَّ إثبات صفة السمع والعلم لله تعالى يقتضي مراعاة ذلك في الأقوال والأفعال. وهذا الاعتقاد عندما يشع بنوره إلى ميدان الحياة اليومية يأتي بثمرات باهارات، فهي عين سبيل الرشاد الذي يرقى بالعبد إلى المزايا العالية، ويحفظ البلاد من الرزايا البالية؛ إذ يتسم المؤمن بحفظ لسانه من الزلل والخلل؛ لأنَّه يعتقد بأنَّ الله تعالى يسمع ما يقول، وكذلك تتجلى في المؤمن ظاهرة عظيمة ألا وهي حفظ جوارحه من الظلم، وصونها من الوقوع في الحرمات والموبقات؛ لأنَّه يعتقد بأنَّ الله تعالى يرى هذه الجوارح وما تفعله من الخير والحسنات، وما تجرحه من الشر والسيئات. وإنْ عمل المجتمع بهذا الاعتقاد رأينا الأخلاق تسمو، والحق يسود.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَهُ، وَلَقَدْ أَصْطَافَنَّهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ
لِمِنَ الْأَصْلَاحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ
بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْيَنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَافَنَّ لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُؤْنَنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ
وَإِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحْدَهُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا شَئْوُنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

التفسير:

١٣٠ - ومن يترك دين الإسلام إلا من استخفَّ نفسه وظلمها. وقسمًاً لقد اخترنا إبراهيم عليه السلام في الدنيا نبِيًّاً ورسولاً، وإنَّه يوم القيمة لمن المقربين ذوي الدرجات العلي. قال الشيخ الشنقيطي: «لم يبيَّن هنا ما مِلَّةُ إبراهيم؟ وبَيَّنَها بقوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] فصرَّح في هذه الآية بأنَّها دين الإسلام الذي بعث



الله به نبيه محمداً ﷺ. وكذا في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

١٣٢ - واذكر - أيها الرسول - حين أمر الله تعالى إبراهيم ﷺ أن ينقاد مطيناً لله، فاستجاب لذلك معظماً لله بوصفه رب العالمين، وووصى إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام أبناءهما بذلك، منادين أبناءهم: إن الله اختار لكم دين الإسلام، فاثبتوه عليه حتى يدرككم الموت وأنتم متمسكون به.

١٣٣ - يُوَبِّخُ الله تعالى مشركي العرب وكفرة بني إسرائيل: أكنتم حاضرين حين جاء الموت يعقوب ﷺ، إذ سأله بنيه: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوه: نعبد إلهك الواحد، وهو إله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق - عليهم الصلاة والسلام - نُوحده بالآلوهية، ونحن له منقادون حقاً.

١٣٤ - تلك جماعة قد مضت، لها جراء ما عملت، ولهم جراء ما عملتم، وأنتم غير مسؤولين يوم القيمة عن أعمالهم في الدنيا، بل كل نفس وطافة مسؤولة عن عملها.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - التحذير من ترك دين الإسلام؛ لما فيه من الظلم على النفس والآخرين.
- ٢ - الاستجابة لوصية النبي الله إبراهيم ﷺ لأنائه وأحفاده.
- ٣ - استجابة يعقوب لدعوة التوحيد.
- ٤ - استجابة أبناء يعقوب لوصية يعقوب في الثبات على التوحيد.
- ٥ - النسب لا يشفع، وإنما العمل هو الذي يُسأل عنه.
- ٦ - في الآيات درس في أهمية تربية الأبناء على التوحيد والحق، والاطمئنان على ثباتهم عليه.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهَتَّدُوا قُلْ بَلْ مِلَةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
 فُولُوا إِمَامًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزَلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَهْدِ
 مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾
 فَإِنَّمَا أَمْنَوْا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تُؤْلَوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي
 شِقَاقٍ فَسَيَكُنُّكُمْ أَهْلَلَهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

١٣٥ - سبب النزول:

أخرج ابن إسحاق بسنده ثابت عن ابن عباس رض قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله صل: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله صل: **﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهَتَّدُوا قُلْ بَلْ مِلَةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾**. (يُنظر: التفسير الصحيح ٢٤٤/١).

التفسير:

دعا اليهود أمةً محمد صل بأن يدخلوا اليهودية، زاعمين أنهم على الهدى والحق، وكذلك دعا النصارى، فأمر الله نبيه صل أن يرد عليهم: بأن الهدایة أن نتبع الملة الحنيفية السمححة التي على التوحيد، وهي ملة إبراهيم، وما كان إبراهيم من عبدة الأوثان.

١٣٦ - ثم أمر الله تعالى المؤمنين بأن يعلموا لليهود: **أَنَّا صَدَّقْنَا بِاللهِ** تعالى، وبالقرآن، وبما أنزل من الصحف والكتب إلى إبراهيم وابنه إسماعيل وإسحاق، وحفيده يعقوب، والأسباط من ولد يعقوب، وصدقنا بالتوراة والإنجيل، وبما أُوتِيَ النبيون جميعاً من وحي الله تعالى، لا نُفَرَّقُ بين أحد منهم، ونحن منقادون لعبادة الله. قال الشيخ الشنقيطي: «لم يُبَيِّنْ هنا ما أُوتِيَ موسى وعيسى، ولكنَّه بيَّنَه في مواضع آخر. فذكر أنَّ ما أُوتِيَ موسى هو التوراة المعبر عنها بالصحف في قوله: **«صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ»** [الأعلى: ١٩] وذلك قوله: **«ثُمَّ إِنَّمَا مُوسَىٰ الْكَتَبَ»** [الأنعام: ١٥٤] وهو التوراة بالإجماع. وذكر أنَّ ما أُوتِيَ عيسى هو الإنجيل كما في قوله: **«وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ أَبْنَى مَرِيَمَ وَإِنَّنَّهُ الْإِنْجِيلُ»** [الحديد: ٢٧].

١٣٧ - فإن صدّق كفرا اليهود والنصارى بمثل الذى صدّقتم به فقد أصابوا الحق، وإن أعرضوا عن ذلك، فاعلم أنهم يريدون عداوتك وخلافك، وسيكفيك الله شرّهم، وينصرك عليهم. والله هو السميع لأقوالهم، العليم بأحوالهم، وقد أجز الله وعده وهزم الأحزاب وحده، فكفى نبيَّ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} ومكّنه من أعدائه فقتل قريطة، وسباهم وأجلى بنى النضير. (صحيح البخاري - المغازي - باب مرجع النبي ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} من الأحزاب ومحاربه إلى بنى قريطة ومحاصرته إياهم، وباب حديث بنى النضير ومحاربه إليهم).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - التحذير من دعوة اليهود والنصارى.
- ٢ - الردُّ على اليهود والنصارى في دعوتهم للمسلمين أن يدخلوا في دينهم.
- ٣ - تقرير الإيمان بالكتب السماوية وبالرسول والأنبياء.
- ٤ - دمُ المخالفين لدين الإسلام.
- ٥ - إثبات صفتى السمع والعلم لله تعالى.
- ٦ - ينظر: شجرة الأنبياء؛ لبيان أبناء إبراهيم وذرية يعقوب - عليهم صلوات الله وسلامه -، كما في الملحق.

﴿صِبَغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحَسَنْ مِنْ اللَّهِ صِبَغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَنِيدُونَ ﴾١٣٨﴿ قُلْ أَتَحَاجُجُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾١٣٩﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ أَمِ الَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ يُغَفِّلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾١٤٠﴾ تَلَكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُشَأْلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾١٤١﴾

التفسير:

- ١٣٨** - قل - أئها الرسول - لهؤلاء اليهود والنصارى: الزموا الإسلام، وهو دين الله، فليس هناك أحسن من دين الإسلام، ونحن له موحدون.
- ١٣٩** - يأمر الله تعالى نبيه محمدًا ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} أن يُوبّخهم: أتناظروننا في



توحيد الله والانقياد له ، وهو ربُّ الجميع ، يتصرف فينا وفيكم ، ونحن بُرَاء منكم ، ولنا جزاء أعمالنا ، وأنتم بُرَاء مِنَّا ، ولكم جزاء أعمالكم ، ونحن له مخلصون في عبادتنا وطاعتنا ، بل تَدْعُونَ أَن إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ كَانُوا عَلَى دِينِ الْيَهُودِ أَوِ النَّصَارَى؟ قَلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: أَتَأْتُمْ أَعْلَمَ بِدِينِهِمْ أَمَّا اللَّهُ تَعَالَى؟ وَقَدْ شَهَدَ اللَّهُ لَهُمْ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَا أَحَدْ أَشَدَّ ظُلْمًا مِنْكُمْ حِينَ تُسْرُوْنَ وَتُخْفَوْنَ شَهَادَةً ثَابِتَةً فِي كِتَابِكُمُ الْمَنْزَلَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

١٤١ - تلك جماعة قد مضت ، لها جزاء ما عملت ، ولكم جزاء ما عملتم ، وأنتم غير مسؤولين يوم القيمة عن أعمالهم في الدنيا ، بل كل نفس مسؤولة عن عملها .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان عظمة دين الإسلام.
- ٢ - الردُّ على اليهود والنصارى الذين يزعمون أنَّ إبراهيم على ديانتهم.
- ٣ - إفحام اليهود والنصارى في الحوار وإقامة الحجة عليهم.
- ٤ - عِظَمُ خطر كتمان العلم ، وأنَّ ذلك من أعظم الظلم.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ أَلَّا كَافُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾١٤١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْ يَنْقِلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾١٤٢﴾ قَدْ نَزَى تَقْلِبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحِيثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهُكُمْ شَطَرُهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِيَغْفِلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾١٤٣﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ إِيمَانِهِ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴾١٤٤﴾

١٤٢ - سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم بسنده ثابت عن ابن عباس رض قال: «لما صرِفت القبلة عن الشام إلى الكعبة، وصرفت في رجب، على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صل المدينة، أتى رسول الله صل رفاعة بن قيس، وقردم بن عمرو، وكمب بن الأشرف، ونافع بن أبي نافع، فقالوا: يا محمد، ما ولأك عن قبلك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك! وإنما يريدون فتنته عن دينه. فأنزل الله فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْ يَنْقِلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾. (واللفظ للطبرى. تفسير الطبرى برقم ٢٤٩ وتفسير سورة البقرة - الثاني برقم (٨) لابن أبي حاتم، ودلائل النبوة ٢/٥٧٥. قال الحافظ ابن حجر: «وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسنده صحيح عن ابن عباس رض» (فتح البارى ١/٩٧).

التفسير:

يُنبئ الله تعالى نبيّنا محمداً صل عن أمر مستقبلي أنه سيقول الجهلة من ضعفاء العقول من اليهود والمشركين في سخرية: ما سبب تحويل المسلمين

عن قبّلتهم - وهي بيت المقدس - التي كانوا يستقبلونها في صلاتهم؟ ثم أمر الله تعالى نبيه أن يردد عليهم: أنَّ المشرق والمغارب ملك الله، يرشد منْ ي يريد من عباده إلى الطريق القويم، وهو دين الإسلام.

١٤٣ - سبب النزول:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبّلته قبلَ البيت وأنه صلَى - أو صلَّاها - صلاة العصر وصلَى معه قوم، فخرج رجلٌ ممَّنْ كان صلَى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله لقد صلَّيت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبلَ البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قبَّلَ البيت رجال قتلوا لم نذرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُأْتِكُمْ لَرَءُوفًا وَرَحِيمًا﴾.

(صحيف البخاري ١٤١/٨ برقم ٤٤٨٦، تفسير سورة البقرة، باب ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ إِنَّ أَنَّا﴾. وصحيف مسلم برقم ٥٢٥، المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة. واللفظ للبخاري).

التفسير:

يمدح الله تعالى المسلمين: كما هديناكم إلى دين الإسلام جعلناكم أمَّة عدولاً؛ كي تشهدوا على الأُمم في الآخرة أنَّ رسالهم قد بلَّغَتهم الدعوة، وكذلك يكون الرسول شهيداً عليكم، بأنه بلَّغَكم الرسالة المكلَّف بها. وما جعلنا هذا التحويل في القبلة إلا اختباراً؛ ليظهر ويتميَّز المطیع للرسول ممَّنْ يُشكِّك في الدين، ويرتدَّ عن دين الإسلام، وإنَّ تحويل القبلة لتشييل شاقٍ إلا على الذين هداهم الله تعالى، فهو سهل عليهم، وما كان الله ليضيِّع صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يتقبلها منكم ويثبِّطكم عليها؛ لأنَّ الله تعالى ذو رأفة بعباده، ورحيم بهم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيمة، فيقول: لبيك وسعديك يا ربّ، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أثنا من نذير، فيقول: مَنْ يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً،



فذلك قوله جلَّ ذُكْرُه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِنَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ والوسط: العدل». (صحيح البخاري برقم ٤٤٨٧ - تفسير سورة البقرة ، باب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا﴾).

١٤٤ - سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم بسنده حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما هاجر رسول الله صلوات الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيته المقدس. ففرحت اليهود. فاستقبلها رسول الله صلوات الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً، فكان رسول الله صلوات الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم صلوات الله عليه وسلم، وكان يدعوه وينظر إلى السماء، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقْلُبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾. فارتبا من ذلك اليهود وقالوا: ﴿مَا وَلَدْهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَلَّا كَافُوا عَنْهَا﴾؟ [البقرة: ١٤٢]. فأنزل الله تعالى: ﴿فُلِّلَ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢]. (واللفظ للطبرى. وأخرجه التحاس من طريق بكير بن سهل (الناسخ والمنسوخ ٥٩ - ٥٨/١)، والبيهقي (السنن الكبرى ١٢/٢ - ١٣/٢) من طريق عثمان بن سعيد الدارمي، كلامهما عن عبد الله بن صالح به).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آتٍ، فقال: إنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلم قد أُنْزِلَ عليه الليلة، وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام. فاستداروا إلى الكعبة». (صحيح البخاري برقم ٤٤٨٨ - باب التفسير ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ أَلَّا كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ آلَّرَسُولِ﴾). وصحيح مسلم برقم ٥٢٦ - المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة).

التفسير:

يؤكّد الله تعالى لك - يا محمد - أنه يرى تكرار تطلّعك إلى جهة السماء، وتحقيق بصرك فيها، راجياً الله تعالى نزول الأمر بتحول القبلة إلى الكعبة، فتوّجّه في صلاتك نحو الكعبة، وفي أي مكان كنتم أيها المسلمين، وأردتم الصلاة، فتوّجّهوا نحوها، وإن اليهود والنصارى واثقون إن تحولتك إلى الكعبة لهو الحق الثابت في كتبهم، وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء المكذبون، وسيجازيهما على ذلك.

١٤٥ - وقسى - أيها الرسول - إن جئت اليهود والنصارى بكلٌّ معجزة تدلُّ على صدقك ليتبعوا قبلتك ، ما تبعوا قبلتك كفراً وعناداً؛ لأنَّ اتباع القبلة

دليل على اتباعك، ولست أنت بتابع قبلتهم، وكذلك النصارى لا يتبعون قبلة اليهود، كما أنَّ اليهود لا يتبعون قبلة النصارى، وقُسماً إن وافقتَ أهواءهم بعد ما جاءك من الوحي أنك على الحق، فستكونون من الظالمين لأنفسهم. وفيه تحذير لِمَنْ يَتَّبِعُ أهواه أهل الكتاب وغيرهم.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - إعلام الله تعالى رسوله ﷺ عَمَّا سيقوله الجهلة عن القبلة.**
- ٢ - ذكر الدكتور محمد جميل الحبَّال الإعجاز العددي فقال:**
 - أ - إنَّ سورة البقرة هي من أطول سور القرآن الكريم، ومجموع عدد آياتها هو (٢٨٦) آية، والثانية ترتيباً في المصحف الشريف والأية رقم (١٤٣) هي نصفها حيث إن: $(286 \div 2 = 143)$.**
 - ب - إنَّ عدد كلمات هذه الآية هو (٤٥) كلمة، وعدد حروفها هو (١٩٤) حرفاً، وإن موقع كلمة ﴿وَسَطًا﴾ في هذه الآية هو الرابع، وكلمة ﴿وَسَطًا﴾ تتَّألف من أربعة حروف، والعدد (٤) يقع في وسط رقم الآية (١٤٣).**
 - ج - إنَّ الكلمة الوسطية (المركز) في هذه الآية هي رقم (٢٣) وهي الكلمة ﴿أَرَسُول﴾ حيث إنه ﷺ هو المثال الأعلى والقدوة الصالحة في الوسطية في أحواله.**
 - ٣ - الثناء على الأمة العدل.**
 - ٤ - اختبار وتمحیص في شأن تحويل القبلة، وينظر: صورة بيت المقدس في الملحق.**
 - ٥ - الرعاية الربانية للنبي ﷺ، وتحقيق رغبته في التحول إلى الكعبة.**
 - ٦ - قال الشيخ الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ لم يبين هنا: هل هو شهيد عليهم في الدنيا والآخرة؟ ولكنه يَبَيَّن في موضع آخر: أنه شهيد عليهم في الآخرة وذلك في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَعَلْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وَجَعَلْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ يَوْمَئِذٍ يَوْمُ الْدِينَ كَفَرُوا وَعَصَمُوا أَرَسُولُ لَوْ شَوَّهُمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكُنُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤١ - ٤٢]. (أضواء البيان ١/١٤٩).**

- ٧** - تشدد أغلب اليهود والنصارى، وتعنتهم في عدم اتباع الحق، والإنباء عن أمر مستقبلي في ذلك.
- ٨** - خطورة اتباع ضلال اليهود والنصارى.
- ٩** - قبول الله تعالى عمل عباده، ما دام ال باعث عليه طاعته سبحانه.
- ١٠** - قال الشيخ الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَافِرِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ظاهر هذه الآية قد يتوهם منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، بِسْمِ اللَّهِ عن ذلك علوأً كبيراً، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون. وقد بيّن أنه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا: ﴿وَلَيَتَّبِعَ الَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحِّضَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَأَلَّهُ عَلِيمٌ بِذَنَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَنَاتِ الصُّدُورِ﴾. (أضواء البيان / ١٤٩).
- ١١** - قال ابن عاشور: «الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ استثناء من علل وأحوال، أي: ما جعلنا ذلك لسببٍ وفي حالٍ إلا لظهورِ مَنْ كان صادق الإيمان في الحالتين: حالة تشرع استقبال بيت المقدس، وحالة تحويل الاستقبال إلى الكعبة». (التحرير والتنوير: ٢٣/٢).
- ١٢** - التذليل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تأكيدٌ لعدم إضاعة إيمانهم، ومهنة وتعليم بأنَّ الحكم المنسوخ إنما يلغى العمل به في المستقبل لا في ماضٍ.
- ١٣** - التنبية على خطورة الردة بعد الإيمان.

﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فِرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾٤٦﴾ وَلَكُلُّ وِجْهٌ هُوَ مُولِيهِ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾٤٧﴾ وَمَنْ حَيَثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْعَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِعَلِيهِ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾٤٨﴾ وَمِنْ حَيَثُ حَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْعَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوْلُوا وُجُوهَكُمْ شَطَرَهُ إِشَّالًا يَكُونُ لِلثَّالِثِ عَيْنَكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشُوهُمْ وَأَخْشُونِي وَلَا تَأْتِمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعْنَكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾٤٩﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتَلَوُ عَيْنَكُمْ إِنَّا يَرَيْكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾٥٠﴾ فَإِذْرُونِي أَذْكُرُكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكُفُّرُونِ ﴾٥١﴾

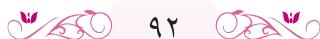
التفسير:

١٤٦ - يخبر الله تعالى أنَّ علماء اليهود والنصارى يدركون أنَّ البيت الحرام هو القبلة بعينها، كما يعرفون أبناءهم، وكذلك معرفة صفة النبي ﷺ وما جاء به، وإنَّ طائفَةً منهم لَيُخْفِونَ الحقَّ، كصفة النبي ﷺ وأمر القبلة، وهم يعلمون ذلك يقيناً من كتبهم.

١٤٧ - اعلم - أيُّها الرسول - أنَّ الحق هو ما أعلمك ربُّك من القرآن العظيم، فلا تكوننَّ من الشاكِّين أنَّ اليهود والنصارى قد كتموا ذلك الحق.

١٤٨ - ولكلُّ أهل ملةٍ من المللِ وِجْهٌ يتوجَّهُ إليها كلُّ فرد منها في صلاتِه، فبادروا وتسابقو - أيها المؤمنون - إلى الإحسان والعمل الصالح، وسيبعثكم الله جميعاً يوم القيمة. إنَّ الله على كُلِّ شيءٍ قادر، لا يعجزه شيءٌ.

١٤٩ - يأمر الله تعالى رسول الله محمدًا ﷺ وأمته بتحري استقبال القبلة إلى الكعبة: من أيِّ مكان خَرَجْتَ مسافراً فتوَجَّهْ في صلاتِك نحو الكعبة. وهذا الأمر هو الحق الثابت من الله، وما الله بغافل عما تعملون، وسيجازيكم على ذلك. وأينما حلَّلتْ فتوَجَّهْ نحو الكعبة، وأينما كتم - معشر المسلمين - في أيِّ بلد فتوَجَّهوا نحو الكعبة؛ لكيلا يختَحَّ المخالفون لكم في أمر القبلة. أما أهل العداوة والعناد فسيستمرُون على جدالكم، فلا تخافوهم وخافوني بطاعتي؛ ولكي أُتَمَّ عليكم فضلي؛ كي تهتدوا إلى اتباع الحق.



١٥١ - وكما أتممت عليكم نعمتي ، كذلك أرسلت فيكم رسولًا منكم ، يقرأ عليكم آيات القرآن الموضحة لأمور الدين ، ويظهر نفوسك من المعاشي ، ويعلّمكم القرآن الكريم والسنّة المشرفة ، ويعلّمكم ما كنتم تجهلونه من أمور الدنيا والآخرة . قال ابن عاشور : «تشبيه للعلتين من قوله : ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقوله : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ، أي : ذلك من نعمتي عليكم كنعة إرسال محمد ﷺ ، وجعل الإرسال مشبهًا به لأنّه أسبق وأظهر تحقيقاً للمشبه ». (التحرير والتنوير : ٤٨/٢) .

١٥٢ - فاذكروني بالعبادة أذركم بالمغفرة والثواب ، واشكروا لي نعمي ، ولا تجحدواها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبَرًا تَقَرَّبَتُ إِلَيْهِ ذرَاعًا ، وإن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذراعًا تَقَرَّبَتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وإن أتاني بمشي أتيته هَرْوَلَةً» .
 صحيح البخاري - باب التوحيد ، قوله تعالى : ﴿وَيَعْدُرُكُمْ اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾ برقم ٧٤٠٥ . وصحيح مسلم ٢٠٦١ / ٤ - الذكر ، باب الحث على ذكر الله تعالى ، برقم ٢٦٧٥ .

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور : «حذف ما أضيف إليه (كل) هنا لدلالة المقام عليه ، وتقدير هذا الممحوذ (أمة)؛ لأنَّ الكلام كله في اختلاف الأمم في أمر القبلة». (التحرير والتنوير : ٤٢/٢) .

٢ - إصرار أهل الكتاب على عدم التصديق بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، مع أنهم يعلمون حقاً صفتة ، وأن شأن تحويل القبلة من عند الله تعالى .

٣ - وجوب التوجُّه إلى الكعبة في الصلاة .

٤ - قوله : ﴿وَمَنْ حَيَثْ خَرَجْتَ﴾ عطف على الجملة التي قبله ، وأعيد لفظ الجملة السالفة ليُبَيَّنَ عليه التعليل بقوله : ﴿إِنَّا لَيَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ .

٥ - قال ابن عاشور : «تكرر الأمر باستقبال النبي الكعبة ثلاث مرات ، وتكرر الأمر باستقبال المسلمين الكعبة مرتين ، وتكرر أنه الحق ثلاط مرات ، وتكرر تعليم الجهات ثلاث مرات . والقصد من ذلك كله التنويه بشأن استقبال

الكعبة، والتحذير من تطرق التساهل في ذلك تقريراً للحق في نفوس المسلمين، وزيادة في الرد على المنكرين». (التحرير والتنوير: ٤٥/٢).

- ٦ - تقرير الرسالة لسيدنا محمد ﷺ، وبيان مكانه في عِلْمِه وحكمته.
- ٧ - بيان فضل الذكر لله تعالى، وبه تدوم النعم.
- ٨ - لا خوف من الإرجاف وحرب الإشاعة الصادرة من العدو.
- ٩ - المقصود من خطاب النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ تحذير الأمة.
- ١٠ - إنَّ العارف بالحق مسؤول ومطالب باتباعه والالتزام به، وشأنه أوجب من الجاحد به.
- ١١ - فضيلة المسابقة إلى الخيرات والطاعات.
- ١٢ - التنبية لوجوب مراقبة الله تعالى، وأنَّه سبحانه مُطلع على أعمال عباده.
- ١٣ - عَظَمُ نعمة الله على عباده بإرساله الرسول محمد ﷺ، ووجوب شكر هذه النعمة العظيمة باتباعه، والالتزام بما جاء به.
- ١٤ - في الآية (١٥٢) إخبار عن أمر مستقبلي عن ذكر الله تعالى للمؤمنين إذا ذكروه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِنُو بِالصَّابِرِ وَالصَّلُوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾١٥٣
 يُقْتَلُ فِي سَكِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا شَعْرُورٌ ﴾١٥٤ وَلَنَبْلُوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ
 وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ ﴾١٥٥﴾
 مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعونَ ﴾١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُهَتَّدُونَ ﴾١٥٧﴾

التفسير:

- ١٥٣ - يا أيها المصدقون بالله تعالى ورسوله ﷺ، اطلبوا العون من الله بواسطة الصبر على المصائب والطاعة، وترك المعاشي، وبالصلوة التي تقوى الصلة بالله تعالى. إنَّ الله ينصر، ويوفق الصابرين.

١٥٤ - ولا تَصِفُوا شهداء الجهاد في سبيل الله بأنهم أموات، بل هم أحياء في قبورهم، ولكن لا تدركون ذلك؛ لأنه لا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى.

١٥٥ - يقسم الله تعالى للمؤمنين مؤكّداً أنه سيختبرهم بشيء من أنواع البلاء، كالخوف من الأعداء، والجوع، وذهب بعض الأموال، وفقدان بعض الأحباب، ونقص في الثمرات بالألفات. وبشّر - أيّها الرسول - الصابرين على ذلك بالجنة، ثمّ وصف الصابرين بأنّهم إذا تعرضوا لنكبة ذكروها الله تعالى: إنا عبيد الله، يتصرف فيما يشاء، وإننا مبعوثون ليوم الجزاء.

١٥٧ - هؤلاء الصابرون لهم مكانة عالية عند الله تعالى، يستحقون الثناء والرحمة من الله تعالى، ويشهد لهم بأنهم مهتدون إلى الإسلام.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور: «افتتح الكلام بالنداء، لأنّ فيه إشعاراً بخبر مهم عظيم، فإنّ شأن الأخبار العظيمة التي تهول المخاطب أن يقدّم قبلها ما يهوي النفس لقولها؛ ل تستأنس بها قبل أن تفجأها». (التحرير والتنوير: ٥١/٢).

٢ - قال ابن عاشور: «جيء بكلمة (شيء) تهوياناً للخبر المفجع، وإشارة إلى الفرق بين هذا الابتلاء وبين الجوع والخوف اللذين سلطهما الله على بعض الأمم عقوبة، كما في قوله: ﴿فَإِذَا قَاتَاهُ اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعُ وَالْخُوفُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] ولذلك جاء هنا بكلمة (شيء). (التحرير والتنوير: ٥٤/٢).

٣ - في الآية (١٥٥) إخبار عن وقوع الخوف والجوع في الماضي والمستقبل.

٤ - ثبت في فضل الاسترجاع، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: إنا الله وإننا إليه راجعون، اللهم أجزني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها». قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، ثم إنني قلت لها، فأخلف الله لي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. قالت: أرسل إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حاطب بن أبي بلتعة

يخطبني له، فقالت: إن لي بنتاً، وأنا غيور، فقال: أما ابنتها فندعو الله أن يغنىها عنها، وأدعوه الله أن يذهب بالغييرة. (صحيح مسلم - كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة برقم ٩١٨).

٥ - الصلاة والصبر من أعظم الأمور المساعدة على الابلاء.

٦ - الابلاء في الحياة الدنيا سُنَّة الله تعالى في خلقه، والابلاء المذكور في النقص. وثمة ابتلاء آخر بالزيادة والخيرات، كما قال تعالى: ﴿وَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ﴾ [الأنياء: ٣٥].

٧ - فضل مقام المؤمن إذا ابتلى فصبر، فإنه يستحق الرحمة والثناء من الله تعالى. وهذه هي الهدایة العظمى.

٨ - يُسَئَّنُ قول: «إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» عند وقوع المصائب؛ لما لهذه الكلمة من فضل كبير.

٩ - مكانة الشهداء العالية عند الله تعالى، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

١٠ - فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ ﴾١٥٤﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيْتِ وَأَهْمَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَكُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَبُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَبُهُمُ الَّلَّاهُعُونَ ﴾١٥٥﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوْبُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾١٥٦﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تُوْمِنُهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَفْظُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾١٥٧﴿خَلِيلِنَ فِيهَا لَا يُخَفَّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُظْرَوُنَ ﴾١٥٨﴾

١٥٨ - سبب النزول:

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئاً إلا يطّوّف بهما. فقالت عائشة: لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه إلا

يَطْوَّفُ بِهِمَا، إِنَّمَا أُنزِلتْ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْأَنْصَارِ: كَانُوا يُهْلِكُونَ لِمَنْاهَةَ، وَكَانَتْ مَنَاهَةَ حَذْوَ قُدْدِيدَ، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطْوَّفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَّفَ بِهِمَا﴾. (صحيح البخاري - التفسير، سورة البقرة، باب ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَة﴾ برقم ٤٤٩٥. صحيح مسلم - كتاب الحج، باب بيان أنَّ السعي بين الصفا والمروءة ركن، رقم ١٢٧٧).

التفسير:

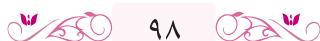
إن جبلي الصفا والمروءة من معالم العبادة للسعى في الحج والعمرة، فمن قصد البيت الحرام حاجاً أو معتمراً فلا حرج عليه أن يسعى بينهما، حتى ولو كان المشركون يسعون بينهما، ويقتربون إلى الأصنام، بل يجب عليه السعي، ومن تطوع بالحج أو العمرة بعد قضاء حجه، أو فعل خيراً أياً كان، فإن الله تعالى شاكر له، يثيبه على تطوعه، عليم بأعمال عباده. وأخرج مسلم من حديث جابر الطويل، وفيه: أنَّ رسول الله ﷺ لما فرغ من طوافه بالبيت رجع إلى الركن، فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ﴾، أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا. (صحيح مسلم - كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم ١٢١٨). انظر: الآية (٢٣٣) من السورة نفسها عند قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

١٥٩ - ١٦٠ - إِنَّ الَّذِينَ يُخْفِونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ، وَالْعِلْمُ الَّذِي تَحْصُلُ بِهِ الْهِدَايَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ بَيَانِهِ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ أُولَئِكَ الْبُعْدَاءُ عَنِ الْحَقِّ يَطْرُدُهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ بِاللِّعْنَةِ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ، إِلَّا الَّذِينَ نَدَمُوا عَلَى كُتْمَانِهِمْ، وَبَيَّنُوا لِلنَّاسِ مَا أَخْفَوْهُ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَّةِ، أَقْبَلُ تُوبَتِهِمْ، وَأَنَا اللَّهُ تَوَابُ عَلَى مَنْ تَابَ، رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.

١٦١ - ١٦٢ - إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاسْتَمْرَرُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتُوا، عَقُوبَتِهِمُ الْطَّرَدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ بِاللِّعْنَةِ: الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ. وَهُؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مَا كَثُونَ فِي الْلِّعْنَةِ وَمُقَيَّمُونَ فِي النَّارِ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ، وَلَا هُمْ يُمْهَلُونَ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - قال الشيخ الشنقيطي: «لم يبَيِّن هنا ما اللاعنون؟ ولكنَه أشار إلى ذلك في قوله: ﴿أُولَئِكَ عَنِيهِمْ لَفْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلِئَكَةِ وَالثَّالِثُ اجْمَعِينَ﴾».
- ٢ - وجوب السعي بين الصفا والمروءة في فريضة الحج والعمرة.
- ٣ - قال ابن عاشور: «الكتمان يكون بإلغاء الحفظ والتدريس والتعليم، ويكون بإزالته من الكتاب أصلًا، وهو ظاهره، قال تعالى: ﴿وَنَخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]، ويكون بالتآويلات بعيدة عن مراد الشارع؛ لأنَّ إخفاء المعنى كتمان له. وحُذِفَ متعلق ﴿يَكْتُمُونَ﴾ الدال على المكتوم عنه للتعميم، أي: يكتمون ذلك عن كل أحد ليتأتَّى نسيانه وإضاعته». (التحرير والتنوير: ٢/٦٦).
- ٤ - نفي الإثم لا يقتضي عدم الوجوب.
- ٥ - فضل التطوع في العبادات.
- ٦ - تحريم كُم العلم وشدة عذاب مَنْ فعل ذلك.
- ٧ - قبول الله تعالى توبة التائب.
- ٨ - جزاء الكفار الطرد من رحمة الله تعالى.
- ٩ - قال ابن عاشور: « جاء في الآية (١٦٠) نَظُمْ بديع تقديره: إلا الذين تابوا انقطعت عنهم اللعنة، فأتوب عليهم، أي: أرضى، وزاد توسيط اسم الإشارة للدلالة على التعليل، وهو إيجاز بديع». (التحرير والتنوير: ٢/٧١).
- ١٠ - يُنظر: صورة جبل الصفا وجبل المروءة في الملحق.



﴿وَإِلَهُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَآخِرَتِ الْيَوْمِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ إِمَّا مَاءٌ فَأَخِيَّا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَتِهَا وَبَئَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصَرِيفُ الرِّيحَ
وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾١٦٤﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَنْجُدُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَرٍ اللَّهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذَ
يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأُ الَّذِينَ أَتَبَعُوكُمْ مِّنَ
الَّذِينَ أَتَبَعُوكُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَنَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَتَبَعُوكُمْ لَوْ أَنَّ لَنَا
كَرَّةً فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُونَا مِنَ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَتِ عَيْنِهِمْ وَمَا هُمْ
بِخَرِيجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾١٦٧﴾

التفسير:

١٦٣ - ومعبدكم - أيها الناس - هو الله وحده المستحق للعبادة، لا شريك له ، متفرد في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وعبودية خلقه له ، لا معبد بحق إلا هو ، المتتصف بسعة رحمته للخلق جميعاً في الدنيا ، وللمؤمنين في الدنيا والآخرة .

١٦٤ - سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم ووكيع وأحمد (كما في تفسير ابن كثير) بسند حسن عن أبي الصحرى في قول الله: ﴿وَإِلَهُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ قال: «لما نزلت هذه الآية عجب المشركون ، وقالوا: إن محمدًا يقول: إلهكم إله واحد ، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَآخِرَتِ الْيَوْمِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
مَاءٍ فَأَخِيَّا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَتِهَا وَبَئَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصَرِيفُ الرِّيحَ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم بسند الحسن عن عطاء بن أبي رباح نحوه . (ينظر: التفسير الصحيح ٢٥٥ / ١).

التفسير:

إِنَّ فِي إِيجاد السموات السبع بعظمتها، والأَرْضِين السبع بما ياهها ويابسها وطبقاتها، واختلاف الليل والنهر بأحوالهما وتتابعهما، والسفن التي تسير في البحر لنفع الناس بالسفر والتجارة، والذي أنزل الله من المطر فأحيا به الأرض فصارت خضراء بعد جفافها، ونشر فيها من كل أصناف الحيوانات، وتسيير الرياح، والسماحات الذي تدفعه الرياح بين السماء والأرض، لدلالة واضحة على عظمة الخالق سبحانه ووحديته لقوم يتفكرون، وفيهمون أدلة واستحقاقه وحده للعبادة.

قال ابن عاشور: «والدابة: ما دبَّ على وجه الأرض وقد أذنت كلمة **﴿كُلِّ﴾** بأنَّ المراد جميع الأنواع، فانتفى احتمال أن يراد من الدابة خصوص ذات الأربع». (التحرير والتبيير: ٨٣/٢).

١٦٥ - وبعض الناس المشركين يعبد من دون الله سبحانه أو ثانًا يجعلونهم نظراء الله، ويحبونهم كحب الله تعالى، والذين صدقوا بالله ورسوله أعظم حباً الله من أولئك المشركين، ولو علم المشركون حين يشاهدون عذاب النار أنَّ الله سبحانه هو المتفرد بالقدرة والتصريف، وأنَّ الله يعذب عذاباً شديداً ألم، لما أشركوا بالله سبحانه.

١٦٦ - ١٦٧ - وعند هذه المشاهدة للعذاب يتخاصم قادة الكفر مع تابعيهم، وتزول الروابط والمودة بينهم، ويقول أولئك الأتباع: يا ليت لنا عودة إلى الدنيا. ليعلنوا براءتهم من قادتهم، كصنيعهم في البراءة من تابعيهم، وكما أراهم الله تعالى لهم العذاب كذلك يُرِيهِمْ أعمالهم الخبيثة ندامات عليهم، وليسوا بخارجين من النار أبداً.

قال الشيخ الشنقيطي: «قوله تعالى: **﴿إِذَا تَبَرَّاَ الَّذِينَ آتَيْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾** أشار هنا إلى تخاصم أهل النار. وقد بيَّن منه غير ما ذكر هنا في مواضع آخر قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلَا يَالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ مَوْفُوقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمُ إِلَيْكَ بَعْضِ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُمَا مُؤْمِنِينَ ﴾** قال **الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا** أَنْحَنْ صَدَّنَكُمْ عنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ **﴿وَقَالَ** **﴿وَقَالَ**

الَّذِينَ أَسْتُعْنُفُوا لِلَّذِينَ أَسْتَكْبِرُوا بِلَ مَكْرُ الْيَلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَن نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَجَعْلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُو النَّدَامَةَ لَمَا رَأَوْا عَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحِرِّزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». [سبأ: ٣١ - ٣٢].

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير توحيد العبودية.
- ٢ - إثبات صفة الرحمة لله تعالى.
- ٣ - وجوب حب الله تعالى، فمن أحبه الله أحبه الله.
- ٤ - كل المخلوقات في الكون دلائل ساطعة على وحدانية الله تعالى.
- ٥ - ينظر: صورة جريان الفلك في الملحق.
- ٦ - قال ابن عاشور: «من فوائد هذه الرياح الإعانة على تكوين السحاب، ونقله من موضع إلى موضع، وتنقية الكرة الهوائية مما يحل بها من الجراثيم المضرة. وهذا الأمران موضع عبرة ونعمة لأهل العلم. وقد اختبر التعبير بلفظ التصريف هنا دون نحو لفظ التبديل أو الاختلاف؛ لأن اللفظ الذي يصلح معناه لحكاية ما في الأمر نفسه من حال الرياح؛ لأن التصريف تفعيل من الصرف للمبالغة، وقد علمت أن منشأ الريح هو صرف بعض الهواء إلى مكان، وصرف غيره إلى مكانه الذي كان فيه». (التحرير والتنوير ٢/٨٥).
- ٧ - في الآخرة تزول العائق بين الكفار من الأسياد وتابعهم.
- ٨ - يتحسر أتباع الطواغيت على علاقاتهم الدينية الخاسرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوْمَا فِي الْأَرْضِ حَدَّلَأَ طَبِّيَا وَلَا تَبِّعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
 مُّئِنِّ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالْإِشْرَقِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ قُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا فَلَمَوْنَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 أَتَبِّعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَلْوَبَلَ نَتَّيْعُ مَا أَفْتَنَاهُ عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ شَيْئاً
 وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَعْقِلُ مَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بَكْمُ
 عُمُّ فَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْمَا مِنْ طَبِّيَتِ مَا رَزَقْنُكُمْ وَآشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ
 كُنْتُمْ إِيمَانَهُ تَبَدُّوْنَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمِيَتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ
 لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَ عَيْرَ بَاعَ وَلَا عَادِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

التفسير:

١٦٨ - ١٦٩. يخاطب الله تعالى البشر جمیعاً، كلوا من رزق الله حالة كونه مباحاً مستلذاً طارحاً، ولا تتبعوا مسالك الشيطان؛ إنَّه عدو لكم ظاهر العداوة. ومن هذه العداوة: أنَّه يأمركم بفعل المعااصي والكبائر، وأن تفترروا على الله سبحانه الكذب، بتحريم ما أحلَّ الله لكم، وتحليل ما حرم عليكم.

١٧٠ - سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله صلوات الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام، فرغبهم فيه، وحدّرهم عذاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عموف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك من قولهما: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبِّعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَلْوَبَلَ نَتَّيْعُ مَا أَفْتَنَاهُ عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ».

التفسير:

وإذا نصَحَ الكفار بأن يتَّبعوا هدي القرآن العظيم، رفضوا وأجابوا: لا نتَّبع دينكم، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. فرَدَ الله عليهم موبخاً لهم: أيتبعون آباءهم ولو كانوا سفهاء، ليس لهم عقل يردعهم عن الشر، ولا بصيرة ترشدهم إلى الخير؟ ولـ«لو» للشرط، وجوابها ممحوظ دللاً عليه الكلام السابق، تقديره: لا تَّبعُوهُم. (انظر: التحرير والتتوير: ١٠٥).



١٧١ - شَبَّهَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانَ بِحَالِ الرَّاعِي الَّذِي يُصْبِحُ بِالْبَهَائِمِ وَهِيَ لَا تَفْهَمُ، وَإِنَّمَا تَنْقَادُ لِلصَّوْتِ فَقَطُّ، هُؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ صُمُّونَ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، بُكْمٌ لَا يُنْطَقُونَ بِخَيْرٍ، عُمَيْيٌ عَنِ الْهُدَىٰ، فَهُمْ لَا يَدْرُكُونَ مَا يَنْفَعُهُمْ.

١٧٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَدْ أَبْحَنْنَا لَكُمُ الْأَطْعَمَةَ الْمُسْتَلَذَةَ الْحَلَالَ الَّتِي رَزَقْنَاكُمْ، وَاشْكُرُوا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَتِهِ بِالقولِ وَالْفَعْلِ، إِنْ كُنْتُمْ حَقًّا مُطِيعِينَ لِهِ تَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ.

١٧٣ - لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبَاحةَ الطَّيَّاتِ ذَكَرْ تحرِيمَ الْخَبَائِثِ، كَالْمِيتَةِ الَّتِي لَمْ تُذْبِحْ بِطَرِيقَةٍ شَرِعِيَّةٍ، وَهِيَ مِيتَةُ الْبَرِّ، لَا مِيتَةُ الْبَحْرِ مِنَ السَّمْكِ وَالْجَرَادِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمُ الدَّمُ الْمَسْفُوحُ غَيْرُ الْجَامِدِ كَالْكَبْدِ وَالْطَّحَالِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمُ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ كُلُّهُ، وَمَا ذُبْحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَمَنْ أَجْأَتْهُ الْضَّرُورَةُ بِسَبِيلِ الْجُوعِ الشَّدِيدِ، وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا مِنَ الْحَلَالِ، فَأَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْمُحْرَمَاتِ مِنْ غَيْرِ إِفْسَادٍ وَلَا إِسْرَافٍ، فَلَا ذَنْبٌ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِذَنْبِ عَبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ خَصَصَ الْجَمَهُورُ مِنْ ذَلِكَ مِيتَةَ الْبَحْرِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٩٦] وَحَدِيثُ الْعَنْبَرِ فِي الصَّحِيفَةِ. وَفِي الْمُسْنَدِ وَالْمَوْطَأِ وَالسَّنَنِ قَوْلُهُ ﴿فِي الْبَحْرِ: هُوَ الظَّهُورُ مَا وَهُ، الْحَلُّ مِيَتُهُ﴾. اهـ. وَصَحَّحَهُ التَّرْمِذِيُّ (السَّنَنُ - الطَّهَارَةُ ١/١٠١، ١٠٠) وَصَحَّحَهُ الْبَخَارِيُّ فِيمَا سَأَلَهُ التَّرْمِذِيُّ عَنْهُ (عَلَى التَّرْمِذِيِّ ١/١٣٦) وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الْذَّهَبِيُّ (الْمُسْتَدِرُكُ ١/١٤٠) وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: حَدِيثُ صَحِيفَةِ الْمَعْرِفَةِ (١٥٢/١) وَقَالَ الْبَغْوَيُّ: صَحِيفَةٌ مُتَفَقُ عَلَيْهِ (شَرْحُ السَّنَنِ ٥٥/٢) وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْمَلْقَنَ، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ جَيْدٌ (التَّفْسِيرُ ٦/١٢٦). وَالْأَلْبَانِيُّ (صَحِيفَةُ سَنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ ١/٦٧).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - مصدر الأحكام من الله تعالى، فهو الذي يحرم ويحلل.
- ٢ - أباح الله تعالى الطيبات، وحرّم الخبائث.
- ٣ - الأصل في الأشياء الحلال.
- ٤ - تحريم اتباع الشهوات والشبهات.
- ٥ - الشيطان يُسَوِّل للإنسان المعاصي.

٦ - الكفار ولُعُوا بتقليد الآباء في الشرك.

٧ - تحريم الميتة ولحم الخنزير، وكل ما في الخنزير لا يجوز الانتفاع به.

٨ - جواز أكل ما حرم الله بقدر عند الضرورة، أي: عندما تهدد الحياة بالموت.

٩ - قال الشيخ الشنقيطي: «لم يَبْيَنْ هنا سبب اضطراره، ولم يَبْيَنْ المراد بالباغي والعادي، ولكنَّه أشار في موضع آخر إلى أنَّ سبب الاضطرار المذكور المخصصة، وهي الجوع وهو قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَحْصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣] وأشار إلى أنَّ المراد بالباغي والعادي المتجانف للإثم، وذلك في قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَحْصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣] والمتجانف: المائل، ومنه قول الأعشى:

تَجَانَفُ عَنْ حِجْرِ الْيَمَامَةِ نَاقْتِي
وَمَا قَصَدْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا
فِيْهِمْ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْبَاغِيَ وَالْعَادِي كَلاهُمَا مُتَجَانِفٌ لِإِثْمٍ، وَهَذَا غَايَةُ
مَا يَفْهَمُ مِنْهَا».

١٠ - الدَّعْوَةُ إِلَى التَّنْبُّهِ، والحدُّرُ من الوسائل والسبيل التي يزيّنها الشيطان للعباد لإِيصالهم إلى المعاصي وطرق الضلال والغواية.

١١ - قال الأستاذ الدكتور محمد جميل الحبَّال: «ما ورد في الآية الثالثة من سورة المائدة في تحريم أكل الموقوذة، والمتردية، والنطحة، وما أكل السابع: فإنها جميعاً تشرك بانحباس الدم عند موتها بأحد هذه الطرق المذكورة حيث يشكل الدم المحتبس والملوث داخلها مرتعًا خصباً لنمو الجراثيم وتتكاثرها وبالتالي انتقالها إلى من يأكلها، ولكن إذا أدركت وفيها حياة وتم تذكيتها (ذبحها بالطريقة الشرعية) وخروج القسم الأكبر من دمها فإنها في هذه الحالة يكون أكلها حلالاً». وقال أيضاً: «حرَّمَ الله تعالى شرب الدم المسفوح (السائل) لأنَّه قد يكون موطنًا لبعض الجراثيم والفيروسات والطفيليات. فالدم المسفوح هو أفضل بيئة لتكاثرها، لذلك يضع الطب اليوم مقاييس صارمة للتأكد من خلوه من هذه العوامل في حالة التبرع بالدم. كما يستعمل الدم بالمختبرات المایکروبایولوجي (علم الأحياء المجهرية) كوسط

زرعي جيد للتحري عن وجود الجراثيم في النموذج المراد فحصه لكونه مادة مناسبة لنموها وتسمى (Blood Agar).

١٢ - قال الأستاذ الدكتور محمد علي البار: «الأمراض الفيروسية التي يسهم الخنزير في نقلها للإنسان: تعتبر قائمة الأمراض الفيروسية التي تصيب الخنزير طويلة حقاً، وينتقل بعضاً منها إلى الإنسان، ويصيبه ويعرف هذا النوع من الأمراض «بـأمراض حيوانية المصدر» zoonosis. وبعض هذه الأمراض التي تصيب الإنسان خطير وبعضاً بسيط، وهناك بعض الأمراض التي تصيب خلايا الخنزير بكثرة كبيرة ومن ثم ينتقل إلى الإنسان مرة أخرى بدون أن تتغير صفات الفيروس وفي بعض الأحيان يتکاثر الفيروس في خلايا الخنزير، ويختلط بفيروسات أخرى من الخنزير مشابهة له في الصفات الوراثية؛ ويحدث نتيجة لذلك خروج فيروس جديد يحمل صفات مشتركة بين الفيروس الإنساني والفيروس الخنزيري. وقال أيضاً: «الأمراض البكتيرية التي ينقلها الخنزير إلى الإنسان:

- ١ - الحمى المالطية.
- ٢ - السالمونيلا.
- ٣ - داء البريميات.
- ٤ - داء ليستر.
- ٥ - ميكروبات الكلوستريديا.
- ٦ - الجمرة الخبيثة.
- ٧ - الميكروبات اللاهوائية الأخرى.
- ٨ - ميكروبات المكورات السببية.
- ٩ - دوستاريا الخنزير.
- ١٠ - مرض الراعوم.
- ١١ - ميكروبات الباستوريلا.
- ١٢ - الدرن.
- ١٣ - يرسينيا الأمعاء.
- ١٤ - المفطورة الرئوية». (الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير ص ١٣٩ - ٢١١ - ١٦١ - ٢١١ - الدار السعودية للنشر والتوزيع).

١٣ - قال الدكتور محمد جميل الحال: «حرَّمَ المولى ﷺ أكل الميتة لأن أكلها يكون ضاراً، فموتها ربما كان نتيجة لمرض جرثومي مُعدٍ أو طفيلي قد ينتقل إلى آكل لحم الميتة، حيث إنه عند موتها تتوقف الدورة الدموية والتنفس، وتتكاثر الجراثيم الموجودة طبيعياً في الجسم، وتتصبح مؤذية مسببة للأمراض، وتنتقل من أحشاء الميت إلى عضاته، ما يجعل أكلها ضاراً، كما أن تحلل أعضاء الحيوان الميت ينتج عنه مواد كيمياوية ضارة».

وقال أيضاً: «الخنزير حيوانٌ لاحم وعشبي تجتمع فيه الصفات السبعية

والبهيمية، وهو موغل في القذارة يأكل كل شيء، فیأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشرابة ونهم فيكتنسها! وهو مفترس يأكل الجرذ والفئران وغيرها، كما يأكل الجيف حتى جيف أقرانه! لذلك كان رجساً، كما وصفته الآية الكريمة، فضلاً عن أنه عديم الغيرة حتى على عائلته.

إن الأمراض التي تصيب الخنزير كثيرة تقارب (٤٥٠) مرضًا، والأمراض التي ينقلها الخنزير للإنسان على نوعين، الأول: الأمراض المعدية (الطفيلية)، والثاني: الأمراض العضوية (الجسمية غير الطفيلية).

فمن النوع الأول (الأمراض الطفيلية):

تتمثل من حيث أن الخنزير وسيط لنقل ما يقرب من (٧٥) مرضًا طفيليًا إلى الإنسان بعضها خطير وقاتل، ويختص الخنزير بمفرده بنقل (٣٧) مرضًا وبائيًا معدنيًا، وتشاركه بعض الحيوانات بنقل بقية الأمراض، لكنه يبقى المصدر الرئيس لهذه الأمراض، وهذه الأوبئة تنتقل من الخنزير إلى الإنسان بطرق مختلفة أهمها:

أ - عن طريق مخالطته أثناء تربيته أو التعامل مع منتجاته (أمراض مهنية): وهي لا تقل عن (٣٢) وباءً تصيب غالباً عمال الزرائب والمجازر والبيطرين، ومنها: أنواع من الفطور العميق، والزحار، والديدان، والزحار الزقي، والحمى اليابانية الدماغية، والتهاب الفم البشري الساري.

ب - عن طريق تلوث الطعام والشراب بفضلاته: وهي لا تقل عن (٢٨) مرضًا، منها: الزحار، والإسكاريس، والانسماں الوشقي، والديدان القنفذية والكبدية والمفلطحة وشوكية الرأس، والدودة المسلحة الخنزيرية، والشعيرات الحلزونية، وغيرها.

ج - عن طريق تناول لحمه ومنتجاته: وهي أكثر من (١٦) مرضًا، منها: داء المبيضات، داء الحويصلات الخنزيرية، والحمى المالطية، والدودة الكبدية، داء وايل، والدودة الحلزونية الشريطية، والسل، وغيرها.

ومن النوع الثاني (الأمراض العضوية غير الطفيلية):

أ - السرطان: يحتوي جسم الخنزير على كميات كبيرة من هرمون النمو (Growth Hormone)، والهرمونات المنوية للغدد التناسلية

(Gonadotrophis)، لذلك تزداد الإصابة بالسرطان عند آكلي لحم الخنزير، فقد أظهرت الدراسات الطبية وجود علاقة قوية بين استهلاك لحم الخنزير وسرطان الأمعاء الغليظة والمستقيم والبنكرياس والكبد والمرارة بصورة عامة عند الجنسين، وسرطان الثدي وعنق وبطانة الرحم عند المرأة بصورة خاصة.

بـ - السمنة، وأمراض الشرايين، والقلب: يوجد الدهن في الخنزير متداخلاً مع أنسجة لحمه وبكميات كبيرة؛ لذلك يبدو لون لحمه وردياً (أحمر فاتح) خلافاً للحوم البقر والغنم والمواشي والدجاج، التي يكون فيها الدهن على شكل نسيج دهني شبه مستقل عن النسيج العضلي، فضلاً عن أن دهون الخنزير من النوع المشبع الذي لا تقدر إنزيمات الجهاز الهضمي للإنسان على هضمها بسهولة، بخلاف الحيوانات المجترة آكلة العشب، مسبباً ذلك الإصابة بازدياد الدهونات الضارة، كالكلسترول الضار، والغليسيريديات الثلاثية (Dyslipidemia) التي تساعد بدورها على الإصابة بالمجموعة التالية من الأمراض: كتصلب الشرايين، والذبحة الصدرية، والجلطات الوعائية القلبية والدماغية، وضغط الدم، وحصوات المرارة، والسمنة، وداء السكر البولي، وما يتبع ذلك من مضاعفاتٍ مرتبطة خطيرة.

جـ - التهاب المفاصل: يحتوي لحم الخنزير على كميات كبيرة من حامض البوليك (Uric Acid)، حيث إن جسمه لا يتخلص إلا من قدر قليل منه لا يزيد عن ٣٪، بينما يتخلص الإنسان من ٩٠٪ من هذا الحامض، مسبباً بإصابة آكلي لحمه بالتهاب المفاصل، وداء التقرس، وأمراض في الكلي.

دـ - الأمراض التحسّسية: يحتوي لحم الخنزير على كميات عالية من مركبات الهستامين والإميدازول (Histamine and Imidazole) مسببةً عند آكليها أمراضًا تحسّسية جلدية، مثل: الأكزيما، والشرى، والحكّة، والتهاب الجلد العصبي، وغيرها، وإذا امتنع آكلو لحم الخنزير عن أكله مطلقاً فإن هذه الأمراض التحسّسية تختفي! مما يثبت تسبب أكل لحم الخنزير بحدوثها».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَبِ وَيَشْرُونَكُ بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا أَنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴾ **١٧٤**
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْرَوُا الصَّلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرُهُمْ عَلَى النَّارِ
 ﴿ذَلِكَ يَأْنَ اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّٰ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ
لَّيْسَ الَّرَّأْيَ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الَّرَّأْيَ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَبِ وَالْبَيْنَ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُمَّيْدٍ دَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَمَّ وَالْمَسْكِينَ وَأَبْنَ
السَّيِّلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الْرِّقَابِ وَأَقَامَ الْأَصْلَةَ وَأَتَى الْزَّكُوْهَ وَالْمُؤْفُكَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّدِّرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسُ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَّافِقُونَ
﴾ **١٧٥**

التفسير:

١٧٤ - إنَّ علماء اليهود والنصارى الذين يُخفون ما أنزل الله في التوراة من الحق والهدى، و شأن صفة نبىنا محمد ﷺ؛ لقاء عوض حقير من حطام الدنيا ، هؤلاء ما يأكلون في بطونهم إلا حراماً يوردهم نار جهنم ، ولا يُكلّمهم الله كلام رضاً يوم القيمة ، ولا يظهر لهم من دنس ذنوبهم ، ولهم عذاب موجع .

١٧٥ - هؤلاء البداء عن الحق اختاروا الضلال على الهدى ، والعذاب على المغفرة ، فعجبأً لصبرهم وجرأتهم على عمل أهل النار .

١٧٦ - ذلك العذاب بسبب أنَّ الله تعالى نَزَّل كتبه على رسليه فيها الحق الثابت فحرَّفوه . وإنَّ اليهود والنصارى اختاروا فيما بينهم بأن آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، وهم في خلاف بعيد عن الحق ، وفي عداء أكيد للمؤمنين .

١٧٧ - ليس فعل الخير محصوراً في أن يتوجه المصلي في صلاته نحو المشرق أو المغرب ، وإنما الخير كل الخير هو أن يؤمن الإنسان بالله تعالى ، ويبيوم القيمة ، وبالملائكة ، وبالكتب المنزلة جميعاً ، وبالرسل كافة من غير تفريق ، وأعطى المال - مع شدة حبه له - لذوي قرابته ، واليتامى الذين مات آباءهم ولم يبلغوا الحلم ، والمساكين الذين أسكنتهم الحاجة ، والمسافرين



الذين انقطعوا عن مالهم، والسائلين الذين يطلبون العون، وفي الرقاب لتخليص الأسرى والأرقاء بالفداء، وأدّى الصلاة في أوقاتها، وأدّى الزكاة لمستحقيها، وأوفى بالعهد، وصبر في حالة الفقر والمرض وفي شدة القتال. هؤلاء أصحاب الدرجات العالية الذين جمعوا بين هذه الصفات، هم الذين صدقوا في إيمانهم بالقول والعمل، وهم الذين حذروا عقاب الله وخافوا منه.

قال الشيخ الشنقيطي: «لم يبین هنا ما المراد بالبأس؟ ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن البأس القتال، وهو قوله: ﴿فَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَنِهِمْ هُلُمَ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ بِالْبَأْسِ إِلَّا قَبِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨] كما هو ظاهر من سياق الكلام».

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان مصير الذين يكتمون الحق.
- ٢ - يجب على العلماء بيان شرع الله تعالى، إلا في حالات نادرة كالإكراه.
- ٣ - البر هو كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من الإيمان والأعمال الصالحة.
- ٤ - قال ابن عاشور: «حصل بنصب ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ هنا فائدتان: إدحاماً عامة في كل قطع من النعوت، فقد تُقل عن أبي علي الفارسي أنه إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح أو الذم فالأخشن أن يخالف إعرابها، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها. الفائدة الثانية: أنَّ في نصب ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ بتقدير أَخْصُّ أو أَمْدَحْ تنبِيَّهاً على خصيصة الصابرين، ومزية صفتهم التي هي الصبر». (التحرير والتنوير: ١٣٢).
- ٥ - بيان صفات المتقين والصادقين في الآية (١٧٧).
- ٦ - الذين اختلفوا في كتبهم من اليهود والنصارى يبقون دائمًا في خصم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبٌ عَلَيْكُمْ الْقِصاصُ فِي الْفَنَلِ الْحَرُّ بِالْحُرُّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾
 فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَحْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ
 فَمَنْ أَعْتَدَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حِيَاةٌ يَأْتُو لِي الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَقَوَّنَ ﴿١٧٩﴾ كُتُبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَصَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا أَوْ نَصِيبًا
 لِلْوَالَّدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُنْتَنِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى
 الَّذِينَ يَبْدِلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُؤْصِدٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَاصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
 عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

التفسير:

١٧٨ - يا أيها المؤمنون، فرض عليكم القصاص من القاتل عمداً، يقوم بهولي الأمر أو من ينوبه، على أساس المساواة والمماثلة، فيقتل الحر بمثله، ويقتل العبد بمثله، والأنثى بمثلها، ويقتل الرجل بالمرأة، ولا يقتل المسلم بالكافر كما صح عن النبي ﷺ، كما لا يقتل الحر بالعبد؛ لعدم المساواة والمماثلة. فمن سامحه ولئلا المقتول، أو بعض الأولياء، فإن القصاص يسقط، وتحجب على القاتل الديمة - وهي مبلغ مالي محدد يدفعه الجاني مقابل العفو عنه - ويلتزمه الطرفان بالحقوق، فعلى الذي عفا أن يطلب الديمة من القاتل بدون عنف ولا تشديد، وينظره إذا كان معسراً، وعلى القاتل دفع الديمة وألا يماطل. ذلك العفو هو تيسير من خالقكم ورحمة بكم، بإسقاط القصاص وانتفاع أولياء المقتول بالمال، فمن اعترض بعد العفو، كقتل القاتل، أو قتل أقاربه، أو غير ذلك من الظلم، فعقابه عذاب موجع.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهن الدية، فقال الله عز وجل لهذه الأمة: ﴿كُتُبٌ عَلَيْكُمْ الْقِصاصُ فِي الْفَنَلِ الْحَرُّ بِالْحُرُّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ فالعفو أن يقبل الديمة في العمد ﴿فَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ بالمعروف ويءى بإنصافه بإحسان ﴿ذَلِكَ تَحْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ كتب على من كان قبلكم فَمَنْ أَعْتَدَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ قتل بعد

قبول الديمة. (صحيح البخاري - العلم، باب ٣٩ برقم ١١١. وصحیح مسلم - الحج، باب فضل المدينة برقم ١٣٧٠). عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يقتل مسلم بكافر».

وقد نصَ الإمام إسماعيل القاضي الجهمي في كتابه (أحكام القرآن) على الجمع بين هذه الآية وقوله تعالى: «وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفَسَ بِالنَّفَسِ» [المائدة: ٤٥] فقال: «الجمع بين الآيتين أولى، فتحمَّلُ النفس على المكافحة». (الفتح ١٩٨/١٢).

١٧٩ - لكم - أيها الناس - في حكم عقوبة القصاص حياة آمنة للمجتمع يا ذوي العقول السليمة، كي تحدروا عقاب الله في الدارين، وهؤلاء أصحاب العقول السليمة هم أهل الطاعة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ بدليل قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ يَسْتَعِنُونَ بِقُولَّهُ فَيَسْتَعِنُونَ أَحَسَنَهُ» [آل عمران: ٦٣]. أو إِلَّا الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوْتَاهُمْ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» [الزمر: ١٨].

١٨٠ - ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ» فكان لا يرث مع الوالدين غيرهما، إلا وصية إن كانت للأقربين، فأنزل الله بعد هذا: «وَلَا تَوَيِّه لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أَسْدُسٌ مِّمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلَدٌ وَّوَرِثَهُ أَبُوهُهُ فَلَأُمِّهِ» [النساء: ١١] فيبين الله سبحانه ميراث الوالدين، وأقرَّ وصية الأقربين في ثلث مال الميت. (التفسير الصحيح ١/٢٧١).

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها قال: «يرحم الله ابن عفرا». قلت: يا رسول الله أوصي بمالي كله؟ قال: لا. قلت: فالشطر؟ قال: لا. قلت: الثالث؟ قال: فالثلث والثلث كثیر. (صحيح البخاري - الوصايا - ب٢ برقم ٢٧٤٢. وصحیح مسلم - الوصية - باب الوصية بالثلث برقم ١٦٢٨).

وثبت عنه رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، لَا وَصِيَّةٌ لَوَارِثٍ». (أخرجه أحمد (المسند ٤/١٨٧) والترمذى وقال: حسن صحيح (ال السنن - الوصايا - باب ما جاء لا وصية لوارث برقم ٢١٢١) وذكر الحافظ ابن حجر له شواهد كثيرة، ونقل عن الشافعى أنه متواتر (فتح البارى ٥/٣٧٢). وصححه الألبانى وقال: إنه متواتر، نقلًا عن السيوطي (الإرواء برقم ١٦٥٥).

التفسير:

فُرِضَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِذَا أَشْرَفَ أَحَدُكُمْ عَلَى الْمَوْتِ إِنْ تَرَكَ مَالًاً فَلْيُوصِّي بِجُزءٍ مِّنْ مَالِهِ لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْمُتَقِّيِّينَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ، ثُمَّ نُسَخَ حُكْمُ الْوَصِيَّةِ لِلْوَارِثَةِ، وَبَقِيَتِ الْوَصِيَّةُ لِغَيْرِ الْوَرَثَةِ.

١٨١ - فَمَنْ غَيَّرَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ بَعْدَ مَا سَمِعَهَا مِنَ الْمُوصَيِّ فَإِنَّمَا الذَّنْبَ عَلَى مَنْ غَيَّرَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِنِيَّاتِكُمْ.

١٨٢ - فَمَنْ عَلِمَ مِنَ الْمُوصَيِّ مِيلًاً عَنِ الْحَقِّ خَطَّأً أَوْ عَمَدًاً، فَأَصْلَحَ بَيْنَ الْوَرَثَةِ وَالْمُوصَيِّ لَهُ مَا وَقَعَ مِنَ الْخَلَافِ بِسَبِّبِ الْوَصِيَّةِ بِإِثْبَاتِ الْحَقِّ، فَلَا ذَنْبٌ عَلَيْهِ فِي هَذَا التَّعْدِيلِ. إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْمَغْفِرَةِ لِذَنْبِ عَبَادِهِ، كَثِيرٌ الرَّحْمَةُ بِهِمْ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور: «أُعيد الخطاب بـ ﴿يَتَأْيَهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا﴾ لأنَّ هذا صنف من التشريع لأحكام ذات بال في صلاح المجتمع الإسلامي، واستتاب نظامه وأمنه، حين صار المسلمون بعد الهجرة جماعة ذات استقلال بنفسها ومدينتها». (التحرير والتنوير: ١٣٣).

٢ - وجوب إقامة حد القصاص على المجرمين الجناء.

٣ - وجوب المساواة في القصاص.

٤ - وجوب دفع الديمة على القاتل إذا أعفى أولياء المقتول.

٥ - الدعوة إلى العفو.

٦ - إقامة حد القصاص أَمْنٌ لحياة المجتمع.

٧ - التنکير في ﴿حَيَّةٌ﴾ للتعظيم بقرينة المقام، أي: في القصاص حياة لكم أي: لنفسكم؛ فإن فيه ارتداء الناس عن قتل النفوس، فلو أُهمِل حكم القصاص لما ارتد الناس.

٨ - قال ابن عاشور: « قوله : ﴿فِي الْقَصَاصِ حَيَّةٌ﴾ من جوامع الكلم، فاق ما كان سائراً مسرى المثل عند العرب وهو قوله: (القتل أَنْفَى لِلْقُتْلِ)».

(التحرير والتنوير: ١٤٤).

- ٩ - وجوب تنفيذ الوصية إذا كانت خالية من المخالفات الشرعية.
- ١٠ - خصّ هذا الحق بالمتقين ترغيباً في الرضا به، فليس في الآية دليل على أنَّ هذا الوجوب على المتقين دون غيرهم من العصاة.
- ١١ - يجوز التعديل في الوصية إذا عُلِمَ أن الموصي تلاعب بها.
- ١٢ - استحباب إكرام الأقربين المحتاجين من الإرث.
- ١٣ - إنَّ في تشريع القصاص إقامةً لحقوق الإنسان، ورعاية لها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ ﴾١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٌ فَمَنْ تَطَوعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلَا تَكُبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكُمْ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَحِبُّوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفُثُ إِلَى نِسَاءِكُمْ هُنَّ لِيَسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَسُ لَهُنَّ عِلْمُ اللَّهِ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَالُونَ أَفْسَحُكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَأَلَّمَنْ بَشِّرُوهُنَّ وَبَيْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَأَشْرُبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَيْضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْأَيْلَلِ وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنَّمَا عَذِيقُونَ فِي الْمَسْدِحِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ عَائِدَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾١٨٦﴾

التفسير:

- ١٨٣ - يا أيها المؤمنون، فرض عليكم الصيام، كما فرضه الله على الأمم السابقة؛ كي تكونوا من المتقين لله، المجتنبين لمحارمه. وذكر العلامة ابن عاشور ثلاثة أغراض للتشبيه، **أحداها**: الاهتمام بهذه العبادة، والتنويه بها

لأنَّ الله شرعها قبل الإسلام لِمَنْ كانوا قبل المسلمين، وشرعها للMuslimين، وذلك يقتضي اطْراد صلاحها ووفرة ثوابها. **والغرض الثاني:** أنَّ في التشبيه بالسابقين تهويًناً على المكلفين بهذه العبادة أن يستخلوا هذا الصوم؛ فإنَّ في الاقتداء بالغير أسوة في المصاعب. **والغرض الثالث:** إثارة العزائم للقيام بهذه الفريضة حتى لا يكونوا مقصرين في قبول هذا الفرض. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بيان لحكمة الصيام وما لأجله شُرُع، فهو في قوة المفعول لأجله لكتُب. (التحرير والتווير: ١٥٤ / ٢ - ١٥٥ - ١٥٦).

١٨٤ - فرض الله عليكم صيام أيام محددة بأيام شهر رمضان. فمَنْ كان من المكلفين مريضاً يشق عليه الصيام، أو كان مسافراً سفر قصر - مسافة (٨٩) كيلاً تقريباً - فله أن يفطر، ويجب عليه صيام عدد من أيام آخر بقدر الأيام التي أفترها، وعلى الذين يستطيعون صيامه، فهم مخيرون بين الإطعام والصيام. وهذا الإطعام يكون للمسكين قدر نصف صاع من البر، أو صاع من تمر، فمَنْ أطعم أكثر من مسكين واحد، وزاد على قدر الفدية فهو أفضل وأكثر ثواباً، والصيام خير لهم من الإفطار مع الفدية، إن كنتم تعلمون فضل الصيام، ثم نُسخ هذا التخيير العام بالأية التي تليها، وبقيت رخصة الإفطار وصوم عدَّة من أيام آخر للمريض والمسافر.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدَيَةً طَعَامٌ مِسْكِينٌ﴾ كان مَنْ أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها». (صحيح البخاري - التفسير، باب ٢٦ برقم ٤٥٠٧).

١٨٥ - يذكر الله تعالى فضل شهر الصيام؛ لما تميز بنزول القرآن العظيم فيه، أنزله الله هادياً للناس إلى الحق، فيه أوضح الدلائل على هدى الله، وفيه بيان الفارق بين الحق والباطل. فمَنْ حضر منكم الشهر وكان صحيحاً مقيماً فليَصُمْ نهاره، ومنْ كان مريضاً يشق عليه الصيام، أو كان مسافراً سفر قصر، فله أن يفطر، ثم يقضي عدد تلك الأيام التي أفتر فيها. يريد الله بهذا الترخيص التيسير عليكم، ولا يريد بكم المشقة؛ ولتقنعوا عدة الصيام شهراً، ولتختموا الصيام بالذكر والتكبير لله تعالى في عيد الفطر على ما أرشدكم إليه من معالم الدين؛ ولكي تشكروا الله بالفعل والقول على فضله. عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ

رسول الله ﷺ ذَكَرَ رمضان فقال: «لَا تصوموا حَتَّى تروا الْهَلَالُ، وَلَا تفطروا حَتَّى تَرَوْهُ. إِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ». (صحيف البخاري - الصوم، باب ١١ برقم ١٩٠٦). وصحيف مسلم - الصيام برقم ٧٦٠).

١٨٦ - وإذا سألك - أيها الرسول - عبادي عنِي فأجبهم بأنِّي قريب، أسمع ما يسألون، وأجيب سؤال السائل، فليطعنوني، ولি�صدقُوا بي؛ كي يهتدوا إلى سعادة الدارين.

١٨٧ - سبب النزول:

عن البراء رضي الله عنه قال: كان أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر، لم يأكل ليته ولا يومه حتى يمسى، وإنَّ قيس بن صرمة الأنباري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى أمرأته فقال لها: أعنديك طعام؟ قالت: لا، ولكن انطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته أمرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غُشى عليه. فذكر ذلك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزلت هذه الآية: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الْخَيْطُ إِلَّا نَسَآئِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا حَتَّى يَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾. (صحيف البخاري، الصوم باب ١٥، برقم ١٩١٥).

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «أنزلت: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا حَتَّى يَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى يتبيّن له رؤيتهما، فأنزل الله بعده: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني الليل من النهار. (صحيف البخاري - تفسير سورة البقرة، باب ٢٨ برقم ٤٥١١).

التفسير:

أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي لِيَالِي شَهْرِ رَمَضَانِ جَمَاعَ نَسَائِكُمْ، هُنَّ سَكُنُ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ سَكُنُ لَهُنَّ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ تَخُونُونَ أَنفُسَكُمْ فِي جَمَاعِ نَسَائِكُمْ، حِينَمَا كَانَ الصَّوْمُ يَبْدأُ عَنْ دُنُونِ الصَّائِمِ بَعْدَ الإِفْطَارِ - ثُمَّ نُسْخَنَ هَذَا الْحَكْمِ - فَتَابَ عَلَيْكُمْ، وَغَفَرَ لَكُمْ، بَأْنَ وَسَعَ عَلَيْكُمْ، فَالآنَ بَعْدَ أَنْ نُسْخَنَ هَذَا الْحَكْمِ يَجُوزُ لَكُمْ جَمَاعَهُنَّ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، وَاطْلُبُوهُ بِنَكَاحِهِنَّ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْأُولَادِ، وَمَبَاحٌ لَكُمُ الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ عَنْ دُنُونِهِ

النور في الأفق، ويتميز من ظلمة الليل، ثم أمسكوا عن الطعام والشراب ونکاح النساء إلى الليل بغرروب الشمس، ولا يجوز لكم نکاح النساء حالة كونكم مقيمين في المساجد للاعتكاف. تلك الأحكام العظيمة التي شرعها الله فلا تخالفوها. وبمثل هذا التوضيح يبيّن الله أحكام دينه للناس؛ ليطيعوا ربهم، ويحذرها مخالفته أحكامه.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في الآية (١٨٣) استعمال لأسلوب المقايسة القائم على مقارنته بغيره، وفي ذلك تحفيز للناس على الامتثال؛ إذ النفس ميالة إلى محاكاة غيرها، والتفاعل معها، فيشعرها ذلك بعدم الوحشة والغرابة.
- ٢ - في قوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ استخدام لأسلوب الترغيب الذي يحرك النفوس للامثال لما يجنيه من الخير إما في الحال ﴿عَلَّاقَمْ نَنْفُونَ﴾ وإما في المال ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ على الإطلاق.
- ٣ - فرضية صيام شهر رمضان.
- ٤ - غاية الصوم تحقيق تقوى الله.
- ٥ - فرض الصيام في الأديان كلها.
- ٦ - قال الدكتور محمد جميل الحبّال: «إن الصيام يشتمل على مرحلتي الهدم والبناء (Catabolism and Anabolism) لأنسجة الجسم وخلاياه، وبعد وجبي الإفطار والسحور (والتي تعادل وجبي العشاء والفطور الصباحي)، يبدأ البناء للمركبات الهامة في الخلايا، وبعد إكمال فترة امتصاص وجبة السحور يبدأ الهدم، فيتحلل المخزون الغذائي من الجليكوجين (النشويات) (Glucogen) أولاً، والدهون (السحوم) (Fat) ثانياً، والبروتين (الزلال) (Protein) ثالثاً وأخيراً ليمد الجسم بالطاقة اللازمة أثناء الحركة والنشاط في نهار الصيام، ويتحقق بذلك الفوائد الكثيرة والتي سنذكرها لاحقاً، وحتى نتعرف على هذه الفوائد علينا معرفة آلية وسلسلة عمل الصوم، وذلك من خلال العمليات الاستقلابية (الأيضية) (Metabolism) التي تصاحبه، ومن أهمها :

أ - راحة الجهاز الهضمي : يُمكّن الصيام الجهاز الهضمي وملحقاته من

أداء وظائفه على أكمل وجه، وذلك بعد تناول الطعام والشراب (الوجبة الغذائية) الذي يستغرق هضمها وامتصاصها نحو خمس ساعات (مدة الهضم والامتصاص)، إن مدة الصيام في رمضان تتراوح ما بين ١٢ - ١٦ ساعة في المتوسط، وخلايا الجسم تتغذى باستمرار، ولا ينقطع عنها التزود بالطاقة، ولكن في حالة الصيام يبدأ الصيام الحقيقي بعد ٧ - ١١ ساعة (مدة ما بعد الامتصاص) وذلك بعد وجة السحور؛ لذلك كان حَثُّ النبي ﷺ وتأكيده على ضرورة تناول وجة السحور، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسَحَّروا.. فإن في السحور بِرْكَةً» متفق عليه. وذلك لإمداد الجسم بوجبة بناء، وبالإمكان تقليل فترة ما بعد الامتصاص إلى أقل زمن ممكن عن طريق تأخير السحور وتعجيل الإفطار، كما جاء ذلك في سنته ﷺ حيث قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخرموا السحور» متفق عليه. وفي ذلك يتحقق الصوم راحة فسيولوجية لآليات الهضم والامتصاص، وذلك بعدم إدخال الجديد من الطعام والشراب على الوجبة الغذائية أثناء هضمها وامتصاصها.

ب - تنظيف الأمعاء: تسريع آليات الانقباضات الخاصة (Migrating Motor Complex) في الجهاز الهضمي بتنظيف الأمعاء من الفضلات، وتحقق بعض الراحة من عملها المستمر السابق في التقلصات والإفرازات.

ج - تنشيط آليات الاستقلاب (العمليات الأيضية) (Metabolism): حيث يتم تفعيل هذه الآليات في البناء والهدم للنشويات والدهون والبروتينات في الخلايا، لتقوم بوظائفها على أكمل وجه، حيث إنه بعد امتصاص وجة السحور وإكمال عمليات البناء تبدأ عمليات الهدم والاستقلاب للمخزون الغذائي في الجسم خاصة من كلايكرجين الكبد ودهونه، وكذلك من الدهون المتراكمة في الجسم، فتنشط آليات تحلل كلايكرجين وأكسدة الدهون وتحلل البروتين وتكون الكلوكوز الجديد منه. إن الجسم إذا اقتصر على البناء فقط وكان همه التخزين للغذاء في داخله، فإن آليات البناء تغلب آليات الهدم، فيعترى الأخيرة (لعدم استخدامها) وهن تدريجي، وترهل في الجسم وظائفه، وتظهر ملامحه عند تعرض الجسم لشدة مفاجئة بانقطاع الطعام أو الشراب

عنه في الصحة أو المرض، فقد لا يستطيع هذا الإنسان مواصلة حياته أو مقاومة مرضه، كالجيش في حالة السلم، فإنه إن لم يقم بالمناورات والتدريبات وتنشيط قواته الدائمة والاحتياطية بين فترة وأخرى، فإنه سيصاب بالترهل والضعف، ولا يستطيع تفعيل قواته، وخاصة الاحتياطي منها عند الحالات الطارئة! .

د - إزالة السموم والدهون من الكبد: إن عمليات الهدم (Catabolism) في الكبد أثناء الصيام تغلب عمليات البناء (Anabolism)، فيوفر ذلك فرصة للكبد بطرح السموم المتراكمة في خلايا الجسم وإزالتها سُميّتها (Detoxification)، وكذلك التخلص من الدهون المتراكمة فيه، خاصة لدى الأشخاص الذين يعانون من السمنة والبدانة وتراكم الدهون الكبدية (Fatty Liver)， فضلاً عن أنه في الصوم تحول كميات كبيرة من الدهون المخزونة في الجسم (خاصة في الأحشاء الداخلية وتحت الجلد) إلى الكبد، حيث تؤكسد فيه ويُنفع بها، وتستخرج السموم الذائبة فيها ويُتخلص منها مع بقایا نفایات الجسم، كما أن الدهون المتجمعة في الكبد تساعد مادة الكوليستيرول الموجودة فيه على زيادة إنتاج مركبات الصفراء من الكبد (Bile Acids and Salts)، والتي تقوم بدورها بإذابة هذه المواد السامة والتخلص منها مع البراز.

هـ - تكوين المركبات الحيوية من البروتين: بالنسبة للبروتين فإن الأحماض الأمينية (AminoAcids) هي الوحدات الأساسية له، والتي بدورها تشكل البنية الأساسية للخلايا، وفي الصوم تجتمع الأحماض الأمينية الناتجة عن عمليات هدم الغذاء في الكبد ويحدث تحول داخلي واسع النطاق لها (Interconversion)، ودمجها مع جزيئات أخرى كالبيورين والبيروفين (Purines and Prophyins)؛ لصناعة أنواع جديدة من البروتينات الخلوية والبلازمية والهرمونات، وغير ذلك من المركبات الحيوية.

و - منظومة الغدد الصماء وتنشيطها: يُمكّن الصيام الغدد الصماء (الهرمونات) ذات العلاقة بعمليات الاستقلاب في فترة ما بعد الامتصاص من أداء وظائفها في تنظيم وإفراز هرموناتها الحيوية على أتم حال، وذلك بتنشيط آليات التثبيط والتنبيه لها يومياً، ولفترات دورية ثابتة ومتحيرة طوال العام، مثل

Growth Hormone and) هرمون البناء، وهما هرمون النمو والإنسولين (Insuline)، وهو هرموني الجلوكاجون والكورتيزول (Glugacon and)، كهرمونات هدم من ناحية أخرى، وكذلك تحفيز بقية الغدد الصماء المطلوبة وتنشيطها، كالهرمون المضاد لإدرار البول (ADH)، وزيادة القدرة على عمل الكلى لامتصاص الماء، ولتركيز أملاح البول، والمحافظة على معدلات الأملاح، وقوة التناضح (الأسموزية) في مصل الدم ضمن معدلاتها الطبيعية، وتحسن هذه الخاصية بمرور أيام الصوم في رمضان بالرغم من ارتفاع درجة الحرارة وامتداد ساعات الصوم من بداية الشهر إلى نهايته في بعض الفصول! حيث وجد أن المعدلات الأسموزية في مصل الدم في نهاية رمضان مساءً (قبل الإفطار) مساواً لمعدلاتها في بدايته صباحاً لـلأيام الأولى منه، حيث يتآكل ويتهياً الجسم بهذه الآلة.

ز - التحرير الذاتي (الداخلي) للماء: إن الله ﷺ جعل للجسم البشري مقدرة على صنع الماء من خلال العمليات والتحولات الكيميائية العديدة التي تحدث في جميع خلايا الجسم، إذ يتكون الماء أثناء العمليات الأيضية المختلفة (Metabolism)، وقد قدر العلماء كمية هذا الماء من ثلث إلى نصف لتر يومياً. ويسمى التحرير الذاتي (الداخلي) للماء (Intrinsic Water)، وفي حالة الصيام يتحرر (٤) مل مكعب من الماء عند تحلل كل غرام واحد من كلايكوجين الكبد (والذى تزداد كميته بمرور أيام الصوم في رمضان)، محققاً بذلك التروية الداخلية للجسم، ومزيداً للعطش عند الصائم! وصولاً بالمحافظة على المستويات الطبيعية للأسموزية في الدم (Serum Osmolality)، كما جاء أعلاه.

ح - التكوين الذاتي (الداخلي) للجلوكوز: كما خلق الله لـلإنسان ماءً داخلياً فقد خلق له طعاماً داخلياً أيضاً! فمن نفايات أكسدة الجلوكوز يُصنع الجلوكوز مرة أخرى (الذى هو من أهم مصادر الطاقة للجسم وخلاياه)، حيث يتحول كل من حمض اللاكتيك والبيروفيت & (Lactic acid Pyruvate) إلى جلوكوز مرة أخرى! حيث تتوجه هذه النفايات إلى الكبد، فيجعلها وقوداً لتصنيع جلوكوز جديد في الكبد، ويتكوين يومياً حوالي (٣٦)

جراماً من هذا الجلوكوز الجديد من هذين الحمضين، غير الذي يتكون من الجليسروول والأحماض الأمينية (Glycerol & Amino acid)».

وقال أيضاً: «بناءً على ما ذكرنا أعلاه عن آليات عمل الصوم فإن أهم فوائده الصحية وحسب ما توصل إليه الطب حديثاً - وهو غيض من فيض - بأن الصوم الصحيح وقاية وشفاء لكثير من الأمراض، من أهمها: زيادة الوزن - داء السمنة - وما يرافقها من مضاعفات، كارتفاع ضغط الدم، وداء السكر، خاصة من النوع الثاني، والمترافق معه الأيضية (Metabolic Syndrome)، وتصلب الشرايين، والتهاب المفاصل العظمي، وحصوات المرارة، والكبد الدهني - تَشُّخ الكبد -، والقصور الوظيفي في مختلف أعضاء الجسم، فضلاً عن أن الصوم يقوى جهاز المناعة والقلب، والدورة الدموية، والجهاز العضلي، ويقوى الذاكرة والملكات الذهنية في الإنسان، ويوصي بعض الأطباء النفسيين إلى علاج مرضاهم بالصوم من حالات: القلق النفسي، وعصاب الوسوس القهري، وجمود الرغبة الجنسية، والعادات الضارة: كالتدخين، والخمر، والمخدرات والإدمان عليها، حيث إن الصوم مدرسة الصبر، والصبر نصف الإيمان، والصائم الحقيقي سيد على أهوائه وشهوته وتصرفاته السلوكية، ويقوى إرادته! وقد يكتشف الطب مستقبلاً كثيراً من الفوائد الصحية للصوم وقاية وعلاجاً».

٧ - الترخيص لِمَنْ لا يستطيع الصيام من المرضى بالإفطار، ودفع الفدية أو القضاء.

٨ - عظمة شهر رمضان لأنَّ فيه نزول القرآن الكريم.

٩ - جواز الإفطار في السفر والقضاء بعد ذلك.

١٠ - بشرى استجابة الدعاء، وأن الله تعالى قريب من عباده بعلمه. قال ابن عاشور: «قال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يَقُلْ: فقل لهم: إني قريب؛ إيجازاً لظهوره من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكُمْ عَبْدٌ عَنِّي﴾، وتنبيهاً على أنَّ السؤال مفروض غير واقع منهم بالفعل. وفيه لطيفة قرآنية، وهي إيهام أنَّ الله تعالى تَوَلَّ جوابهم عن سؤالهم بنفسه؛ إذ حذف في اللفظ ما يدل على وساطة النبي ﷺ؛ تنبيهاً على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء. وفي هذه الآية إيماء إلى أنَّ

الصائم مرجو الإجابة، وإلى أن شهر رمضان مرجو دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان». (التحرير والتنوير: ١٧٦ / ٢ - ١٧٧).

١١ - جواز الجماع والأكل والشرب ليلاً.

١٢ - لا يجوز الجماع عند عقد النية على الاعتكاف.

١٣ - وجوب الإمساك عن الطعام والشراب والجماع، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

١٤ - ينظر: صورة بزوج الفجر، كما في الملحق.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَتَّبِعُكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوْبِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فِرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾١٨٨﴿ يَسْأُلُوكُمْ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هُنَّ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَاجَةُ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا بِالْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أَنْ تَقْرَأُ وَأَتُوا بِالْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقْرَأُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾١٨٩﴿ وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْدِيْنَ ﴾١٩٠﴿ وَقَاتَلُوكُمْ حَيْثُ نَفَقُوكُمْ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَاللَّيْلَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْتَلُوكُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَقَاتَلُوكُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾١٩١﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾١٩٢﴿ وَقَاتَلُوكُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ إِلَيْهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُذْوَنَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾١٩٣﴿ الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَالْحُرْمَةُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَقْرَأُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُنْتَقِينَ ﴾١٩٤﴿ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُأْفِقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتَّلْكُّثِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾١٩٥﴾

التفسير:

١٨٨ - ينهى الله تعالى عنأخذ أموال الناس بغير وجه شرعي ، كما ينهى عن دفع الرشوة إلى الحكام؛ ليُعينوكم علىأخذ قدرٍ من المال بالباطل، وأنتم تعلمون تحريم ذلك عليكم .

١٨٩ - سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم بسنده الجيد عن أبي العالية قال: «بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هَيْ مَوَاقِعُ الْمَلَائِكَ﴾ يقول: جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدّة نسائهم ومحل دينهم». وأخرجه الطبرى بنحوه بسند حسن عن قتادة، فيتقوى المرسل بالمرسل. (التفسير الصحيح ٢٨٦/١).

عن البراء رضي الله عنه قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبَرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ طُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبَرَّ مِنْ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

(صحيح البخاري - تفسير سورة البقرة - باب ٢٩ برقم ٤٥١٢).

التفسير:

يُبيّن الله تعالى الفائدة والحكمة من أحوال الأهلة في كل شهر بالزيادة والنقصان، فيذكر أنَّ الصحابة رضي الله عنه سأלו النبي صلوات الله عليه وسلم عنها، فأجاب الله تعالى: بأنها علامات يعرف بها الناس أوقات عباداتهم المحددة بوقت، كالصيام، والحج، والزكاة، وغيرها من المصالح، وليس عمل الخير الافتداء بموروث الجاهلية، بأن تدخلوا المنازل من ظهورها حين تُحرمون بالحج أو العمرة، ولكن الخير هو في تقوى الله، بالتزام أوامره واجتناب معاصيه، وادخلوا المنازل من أبوابها، واخشوا الله تعالى في أحکامه؛ كي تفزوا بسعادة الدارين.

قال الشيخ الشنقطي: « قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبَرَّ مِنْ أَنْ تَأْتَى﴾ لم يصرح هنا بالمراد بمن اتقى، ولكنه بيَّنه بقوله: ﴿لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ بِكُلِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَعْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مِنْ إِيمَانِ بِاللَّهِ وَإِلَيْهِ الْآخِرَةِ وَالْمَلِئَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَإِقَامِ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ دُوَّيْهِ الْقُرْبَى وَالْيَتَمَّى وَالْمَسْكِينَ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّاَلِيْنَ وَفِي الرِّفَاقِ وَأَقَامَ الْصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَوَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ يَعْهِدُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُلْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبُلْسُ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَّقُونَ﴾ [القرة: ١٧٧].

١٩٠ - يُعَلِّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَصْوَلَ الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلتَّعَامِلِ مَعَ الْمُحَارِبِينَ لِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَيَخَاطِبُ الْمُؤْمِنِينَ: قَاتَلُوا الَّذِينَ يَقَاطِلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ لِنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، وَلَا تَعْتَدُوا عَلَى الْمُحَارِبِينَ بِالْمِثْلِ، وَلَا عَلَى غَيْرِ الْمُحَارِبِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالْعِجَزَةِ، ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ هَذَا النَّهْيُ بِنَفْيِهِ مَحِبَّتِهِ لِلْمُعْتَدِلِينَ، وَسِيعَاقِبُهُمْ.

١٩١ - وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ الْمُحَارِبِينَ الَّذِينَ بَدَأُوكُمْ بِالْقَتَالِ أَيْنَمَا وُجِدُوكُمْ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مُثْلِهِنَّ مَا أَخْرَجُوكُمْ مِنْ مَكَّةَ. وَلِهَذَا الْأَمْرِ أَهْمَى؛ لِأَنَّ الشُّرُكَ وَفِتْنَةَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ دِينِهِمْ أَعْظَمُ جَرْمًا مِنْ قَتْلِهِمْ، وَلَا تَبْدُؤُوكُمْ بِالْقَتَالِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَبْدُؤُوكُمْ بِالْقَتَالِ فِيهِ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فِيهِ فَقَاتِلُوهُمْ فِيهِ. مُثْلَ ذَلِكَ الْعِقَابِ يَكُونُ جَزَاءَ الْمُكَذِّبِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

١٩٢ - إِنْ رَجَعُوا عَنِ الْكُفَّرِ وَالْقَتَالِ فَكُفُّوْا عَنْهُمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، وَالْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ.

١٩٣ - وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ الْمُحَارِبِينَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ دِينِهِمْ، وَحَتَّى لَا يَبْقَي شَرِكٌ بِاللَّهِ، وَيَبْقَى الدِّينُ لِلَّهِ وَحْدَهُ خَالِصًا، إِنَّ كَفُورَهُمْ عَنِ الْكُفَّرِ وَالْقَتَالِ فَكُفُّوْا عَنْهُمْ، فَلَا عِقَوبَةٌ إِلَّا عَلَى الْمُصْرِرِينَ عَلَى شَرِكِهِمْ، وَمُحَارِبِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ.

١٩٤ - وَمَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمَاتِ - وَهِيَ أَرْبَعَةٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَرَجَبٍ - فَقَاتَلُوهُ فِيهَا، وَهَكُذا فِي كُلِّ الْحُرُمَاتِ وَالْمَقْدِسَاتِ الْزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ، وَغَيْرُهَا، إِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جُنُسِ الْعَمَلِ بِالْمِثْلِ. فَمَنْ اسْتَبَاحَ قَتْلَ النَّفْسِ الْبَرِيَّةَ هُدُرٌ دُمُّهُ، وَلِلْمُعْتَدِي عَلَيْهِ رُدُّ الْعُدُوانِ بِمِثْلِهِ، وَخَافُوا اللَّهُ مِنْ تَجَاؤِرِ حَدُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَقِينَ بِالْعُوْنَ وَالنَّصْرِ.

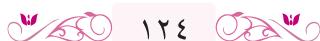
١٩٥ - عَنْ حَدِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّنَكُّثِ﴾ قَالَ: «نَزَّلَ فِي النَّفَقَةِ». (صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ - بَابُ ٣١ بِرَقْمِ ٤٥١٦).

وَبِمَا أَنَّ الْقَتَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَالِ، فَقَدْ أَمْرَ اللَّهُ تَعَالَى بِإِنْفَاقِ الْمَالِ لِنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَالْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا نَهَى عَنْ تَعَرُّضِ النَّفْسِ لِلْهَلاَكِ بِسَبِيلِ الْبَخْلِ وَعَدَمِ الإِنْفَاقِ الَّذِي يَؤْثِرُ فِي مَسَارِ الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

وأحسنوا في الإنفاق والإخلاص في العمل. إنَّ الله يحب الذين يُحسِّنون لأنفسهم وأمتهم.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تحريم أكل أموال الناس بالباطل.
- ٢ - تحريم دفع الرشوة لأي مسؤول.
- ٣ - قرار الحاكم ما يدل عليه الظاهر، لا يُحل حراماً ولا يُحرّم حلالاً.
- ٤ - ينظر: صورة الأهلة، كما في الملحق.
- ٥ - الآية (١٨٩) فيها تنبيه على وصل العلم بالعمل والسؤال عما فيه عمل ل التربية الفكر على البحث فيما يتربّ عليه فائدة تعود على المرء بما يصلح دينه وآخرته.
- ٦ - في قوله: ﴿وَلَا يَكُنَ الْبَرُّ مِنْ أَنْفَقِي﴾ اهتمام بحقيقة المفهوم والمصطلح وأن تسمية الأشياء على غير حقيقتها مصر بسلوك الفرد وتصوره. ومرجع ذلك في الدين كتاب الله وسنة رسوله، فالخير ما دلانا عليه والشر ما حذرانا منه.
- ٧ - وجوب جهاد الدفع إذا اعْتَدَى على الوطن أو على المسلمين.
- ٨ - تحريم الاعتداء في الحرب على الأطفال والنساء والتمثيل بالأسرى.
- ٩ - تحريم القتال في المسجد الحرام إلا إذا باشر العدو القتال فيه.
- ١٠ - تحريم القتال في الأشهر الحرم.
- ١١ - وجوب إيقاف القتال إذا توقف العدو عن القتال.
- ١٢ - من استباح دمَّ غيره حُلّ إباحة دمه، سواء في الحرم أو في الأشهر الحرم وغيرهما.
- ١٣ - وجوب المماثلة في رد الاعتداء. ويُستنبط من ذلك وجوب الإعداد لكل ما تحتاج إليه الأمة، حسبما تمتلكه الأمم الأخرى.
- ١٤ - ترك الإنفاق في سبيل الله يؤدي إلى الضعف والبوار.
- ١٥ - إثبات صفة المحبة لله تعالى؛ فإنَّه يحب مَنْ أحسن في القول والعمل.



﴿وَأَتَيْمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ لِلَّهِ إِنْ أَحْسِنُوكُمْ فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدِيٍّ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدِيٌّ
مَحَلَّهُ، فَنَ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ، فَفِنْدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ سُكُنٌ فَإِذَا أَمْتُمْ مِنَ
تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجَّ فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدِيٍّ مِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجَّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ
عَشَرَةً كَامِلَةً ذَلِكَ لِمَ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَتْ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
جِدَالَ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكَرُّدُوا فَإِنَّهُ خَيْرُ الزَّادِ النَّقْوَىٰ
وَأَنَّفُونَ يَتَأْوِلُونَ إِلَيْهِنَّ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
فَإِذَا أَفَضَّلُمْ مِنْ عَرَفَتِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا
هَدَنَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الْظَّاكِلَينَ ﴿١٩٨﴾

١٩٦ - سبب النزول:

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وقف عليه ورأسه يتهافت قملًا، فقال: **أيؤذيك هوأمك؟** قلت: نعم. قال: **فاحلق رأسك.** قال: ففيَ نزلت هذه الآية: **﴿فَنَ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ، فَفِنْدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ سُكُونٌ﴾** فقال لي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: **«صُمْ ثلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ تَصَدَّقْ بعْدَ بَيْنِ سَتَةِ مَسَاكِينِ، أَوْ انسُكْ مَا تِيسِر».** (صحيف البخاري - تفسير سورة البقرة - باب ٣٢ برقم ٤٥١٧). صحيح مسلم - الحج - باب ١٠ برقم ٨١، واللفظ لمسلم).

وفي رواية لمسلم بلفظ: **«احلق رأسك ثم اذبح شاة نُسُكاً».** (ال الصحيح - الحج برقم ٨٤).

التفسير:

وأذدوا مناسك الحج والعمرة على وجه التمام والكمال بأركانهما وشروطهما، قاصدين بهما وجه الله، فإن منعكم من إتمامهما عدو أو مرض أو نازلة وأنتم حُرم، فيجب عليكم ذبح ما تيسّر من الإبل أو البقر أو الغنم للتحلل من الإحرام، ولا تحلقوا رؤوسكم للإحلال من الإحرام حتى يُذبح

الهدي في الحرم أو في مكان الإحصار، ثم يحل من إحرامه. ومنْ كان مريضاً، أو برأسه علَّة تستوجب الحلق، فليحلق، ويجب عليه فدية يخier فيها: صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو إهداء شاة لفقراء الحرم. فإذا كنتم في صحة وأمن من الخوف، فمن استمتع بالعمرمة إلى الحج - أي: تحلَّل بعمرمة فاستمتع بما يستمتع به غير المحرم من الطيب، والنساء، وغيرها - أو قَرَنَ العمرة بالحج فعليه ذبحٌ ما تيسر من الهدي - المذكور سابقاً -، فمنْ لم يملك ثمن الهدي، فعليه صيام عشرة أيام، ثلاثة منها في أشهر الحج، والسبعين الأخرى يصومها عند الفراغ من أعمال الحج والرجوع إلى الأهل. تلك عشرة أيام كاملة لا بد من صيامها. وذلك الحكم في التمتع والهدي لغير أهل الحرم المقيمين في مكة. واتقوا الله في أحكامه، واعلموا أنَّ الله شديد العقاب لِمَنْ خالف أمره.

١٩٧ - سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتكلمون، فإذا قدموا مكة سأّلوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّكَ خَيْرَ الْأَنَّافُو﴾». (صحيح البخاري - الحج، باب ٦ برقم ١٥٢٣).

التفسير:

زمن الحج يستغرق أشهراً معلومات، وهي: شوال، ذو القعدة، ذو الحجَّة أو عشر من ذي الحجَّة، فمنْ ألزم نفسه الحج بالإحرام فيحرم عليه الجماع ودعاعيه، ويحرم عليه المعاشي، والجدال الذي يفضي إلى النزاع. وما تفعلوا في الحج من أعمال البر يعلمهم الله ويثيب عليهم، وتزودوا للحج بزاد الطعام والنفقة، وللآخرة بالعمل الصالح، فإنَّ خير ما تزودتم به هو التقوى، وخفافوا عذابي يا أصحاب العقول السليمة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ... وأشهر الحج التي ذكر الله تعالى: شوال ذو القعدة ذو الحجَّة، فمن تمع في هذه الأشهر فعله دم أو صوم.

(صحيح البخاري - الحج، باب ٣٧ برقم ١٥٧٢).

١٩٨ - سبب النزول:

عن ابن عباس رض قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثروا أن يتجرروا في الموسم، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج». (صحيح البخاري - تفسير سورة البقرة، باب ٣٤ برقم ٤٥١٩).

التفسير:

لا حرج ولا إثم عليكم أن طلبوا الرزق بالربح من التجارة أيام الحج، فإن انطلقتم من عرفات إلى المزدلفة فاذكروا الله باتباع النبي صل، وإن كنتم من قبل هذا الهدي لِمَنِ الجاهلين البعيدين عن الحق.

الفوائد والاستنباطات:

١ - وجوب العناية بشعائر الحج والعمرة والقيام بها حسبما أمر الله تعالى، ومنها إتمام الحج والعمرة لِمَنْ بدأ فيهما من الميقات، فلا يجوز له التحلل منهما قبل تمام الحج، ما لم يتعرض للإحصار.

٢ - التيسير للمحرم في الحج: فله أن يتحلل من الإحرام إن أصابه مرض أو فاجأه عدو، يُفْدِي عن ذلك ما تيسر من الإبل أو البقر أو الغنم، وله أن يحلق إذا أصيب بأذى في رأسه، ويدفع فدية ذلك.

٣ - إباحة التمتع في الحج من التيسير في الحج.

٤ - في الآية (١٩٧) بيان أن التخلص من هذه الآفات يحتاج إلى دفع نوازع الشر وإعمال العقل الذي يختار الأبقى على الفاني يَتَأْوِلِي أَلَّا لَبِّ.

٥ - تحريم الجماع ودعاعيه في الحج، وكذلك تحريم الجدال فيما لا ينفع.

٦ - الحث على أعمال البر في الحج.

٧ - جواز التجارة والعمل للمحرم في الحج.

٨ - ينظر: صورة موقع عرفات ومزدلفة، كما في الملحق.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾١٩٩
 فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنْسَكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرُكُمْ بَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فِينَ
 الْنَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾٢٠٠ وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾٢٠١
 أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾٢٠٢ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ
 فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ أَتَقَنَ وَأَتَقَنُوا اللَّهُ وَأَعْلَمُوا
 أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾٢٠٣ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِجِّلُ كَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى
 مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ ﴾٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّ سَكَنَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهَلِكَ الْحَرَثَ
 وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادِ ﴾٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقَنَ اللَّهُ أَخْذَهُ الْعِزَّةُ بِالْإِلَهِ شَهِيدٌ فَحَسِبَهُ
 جَهَنَّمُ وَلَيَسَ الْمَهَادُ ﴾٢٠٦ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْغَاهُ مَرْضَاتَ اللَّهِ وَاللَّهُ
 رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾٢٠٧﴾

التفسير:

١٩٩ - ثم اندفعوا من المزدلفة صباح يوم العيد لرمي الجمار وذبح الهدي وبقية أعمال الحج. وهذا يشمل أيضاً أمر الاندفاع من عرفات التي أفضى منها إبراهيم عليه السلام، مخالفين بذلك من لا يقف بها من أهل الجاهلية، وسألوا الله تعالى المغفرة. إنه غفور لعباده المستغفرين، رحيم بهم.

٢٠٠ - سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم بسنده حسن عن ابن عباس عليهما السلام قال: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاد حسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾.

(ينظر: التفسير الصحيح ٣٠٣/١).

التفسير:

فإذا فرغتم من أعمال الحج، فأكثروا من ذكر الله بالتهليل والتکبير والثناء، مثل ذكر مفاخر أسلافكم، بل أكثر ذكراً وتضرعاً، فمن الناس من يقتصر على طلب الدنيا وما فيها، فهو لاء ليس لهم في الآخرة نصيب؛ لأنَّ همَّهم الدنيا.

٢٠١ - ومن الناس طائفة من المؤمنين يسألون الله تعالى من يَعِمُ الدنيا، وكذلك يسألونه الجنة في الآخرة، وأن ينجيهم من عذاب النار.

٢٠٢ - أولئك أصحاب الدرجات العالية الذين جمعوا بدعائهم سعادة الدارين لهم ثواب عظيم؛ بسبب ما قدموه من الأعمال الصالحة. والله سريع الحساب لجميع خلقه.

٢٠٣ - واذكروا الله تعالى تعظيماً وشكراً له في أيام التشريق الثلاثة (١١، ١٢، ١٣ من ذي الحجّة) فمن أراد التعلج بالخروج من منى قبل غروب الشمس في اليوم الثاني عشر فلا حرج عليه، فقد قضى حجّه، إن كان قد اتقى الله في حجّه ولم يرث ولم يفسق، ومن تأخر إلى اليوم الثالث عشر فلا حرج عليه، إن اتقى الله في حجّه. وخافوا الله في جميع أموركم، واعلموا أنكم مجموعون إلى الله في الآخرة؛ لنيل الجزاء.

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم بسنده حسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النحر ﴿فَلَا إِنْمَاعَ عَلَيْهِ﴾ في تأخره فلا حرج عليه.

٢٠٤ - سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم بسنده حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما : لما أصيّبت هذه السرية أصحاب خبيب بالرجيع بين مكة والمدينة، فقال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا! لا هم قعدوا في بيوتهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الشهادة والخير من الله: ﴿وَمَنِ اتَّخَذَ هَذِهِ الْأَنْوَافَ مِنْ يُعِجِّبُكَ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: ما يظهر بلسانه من الإسلام ﴿وَمَنِ شَهَدَ هَذَا عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أي: من النفاق ﴿وَهُوَ أَنَّ الْخَضَارَ﴾ أي: ذو جدال إذا كُلِّمَك

وراجعك ﴿وَإِذَا تَوَلَّ﴾ أي: خرج من عندك ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهَلِّئَ الْحَرَثَ وَالسَّلَلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي: لا يحب عمله ولا يرضاه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَنَّقَ اللَّهَ أَخْدَهُ الْعَزَّةَ إِلَيْهِ فَحَسِبَهُ جَهَنَّمَ وَلَيَسَّ اَلْمَهَادُ﴾ ٢٦١ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْغَانَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴿الَّذِينَ شَرَوْا أَنفُسَهُمْ لِلَّهِ بِالْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ حَتَّىٰ هَلَكُوا عَلَى ذَلِكَ - يَعْنِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ - .

التفسير:

يُحَذِّر الله تعالى محمداً ﷺ والمسلمين من المنافقين: وبعض الناس من المنافقين يروقك - أيها النبي - قوله في الدنيا بفضاحته ومجاملته للمؤمنين، ويحلف على صدق ما في قلبه من محبة الرسول والإسلام، وهو أشد الناس عداوة وخصومة للمؤمنين، وإذا انصرف عنك بذل جهوده ليفسد في الأرض بالتخريب، ويدمر الزرع وذرية الإنسان ونسل الحيوان. والله لا يحب عمل الفساد، ولا يرضى به.

٢٠٦ - وإذا وُعِظَ ذلك المنافق، وذُكر بالله والخوف منه، فإنه يرفض، وتحمله الأنفة والكبُر على الاستمرار بفعل الفساد واللاملاسة للإثم والظلم، فعقابه نار جهنم تكفيه، وبئس الموضع الذي يُؤُوبَيْه.

٢٠٧ - وبعض الناس من المؤمنين يبيع نفسه طلباً لرضا الله عنه بالجهاد في سبيل الله، والقيام بحقه حتى بلوغ أجله. والله شديد الرأفة بعباده المؤمنين.

الفوائد والاستنباطات:

١ - جواز التعجل بالخروج من مني قبل غروب الشمس في اليوم الثاني عشر.

٢ - من علامات المنافقين القول الجميل مع العمل السيئ.

٣ - تحذير المؤمنين من مكر المنافقين.

٤ - المنافق يرفض النصيحة والوعظ غالباً.

٥ - يقول الخبراء: من وسائل المفسدين في الأرض في إهلاك الحرف:

أ - استخدام كيماويات خطيرة بتركيزات مميتة للمزروعات ومبيدة للثروة

النباتية في الدول المعادية لها. ومن أشهر هذه المواد الحربية مادة T4D وهي تسبب حدوث سرطانات في جسم النبات، واستخدام القنابل الذرية والهيدروجينية.

بـ إحراق النباتات بالقنابل الحارقة مثل النابالم الشديد الاشتعال وغيره من وسائل الإحرق.

(الإشارات العلمية في القرآن الكريم: علم النبات في القرآن الكريم: الدكتور السيد عبد الستار المليجي ص ٧٦ - ٧٧).

**٦ - إنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَخْطَأَ أَوْ أَذْنَبَ لَمْ تَأْخُذْهُ أَنْفُهُ وَلَا كَبُرُّ عَنِ الاعْتِرَافِ
بِالذَّنْبِ، وَالْإِلْقَاعِ عَنِهِ حَالُ النَّصِيحَةِ لَهُ.**

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا دَخُلُوا فِي الْسِّلْمِ كَافَةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ فَإِنْ رَأَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ أُبَيْنَتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي
حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ هَلْ يَظْرُفُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٣﴾ سُلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ أَتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَاتِهِ بَيْنَهُ وَمَنْ يُبَدِّلْ عِبْدَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٤﴾ زِينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسِّرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ آتَقْوَهُمْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يُرِقُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٥﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْيَانًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٦﴾

التفسير:

٢٠٨ - يخاطب الله جميع المؤمنين: ادخلوا في الإسلام بكلّيته ، عاملين بجميع أحکامه ، وادخلوا في السلم جميعاً ، ولا تتبعوا مسالك الشيطان وأعماله. إنه لكم عدو ظاهر العداوة ، ومن ذلك إشعال الفتنة بينكم .

٢٠٩ - فإن اتبعتم مسالك الشيطان ، وعدّلتم عن طريق الحق بعد ما قامت

عليكم الحجج الواضحة، فاعلموا أنَّ الله عزيز في انتقامته، حكيم في أحکامه.

٢١٠ - يُنكر الله على الكفار ويهذدهم: ما يتضرر هؤلاء الكفار بعد قيام الحجج الواضحة إلا أن يأتיהם الله فيما يشاء في كُتل مُظللة من السحاب، وأن تأتي الملائكة المكلَّفون بأمور العباد لتنفيذ أمر الله فيهم، وإلى الله مرجع أمور العالمين.

٢١١ - يوبخ اللهبني إسرائيل في زمان النبي ﷺ، فيأمر نبيه ﷺ أن يسأل ذريَّة يعقوب ﷺ: كم أعطيناهم من المعجزات الواضحة التي تُرشدهم إلى الحق، ولكتَّهم جحدوها وحرَّفوها. ومنْ يجحد الحق ويغيِّره بعد معرفته فإنَّ الله شديد العقاب له.

٢١٢ - جعلت شهوات الدنيا قرة عين للذين كَذَّبوا بالله ورسوله، وهم يهزوون بالمؤمنين. والذين خافوا الله فوق الذين كفروا يوم القيمة؛ لأنَّهم في درجات عالية من الجنة، ويضحكون من الكفار الذين سيسقرون في الدرك الأسفل من النار، والله يمنع الرزق الواسع منْ يشاء من خلقه بغير حساب.

قال ابن عاشور: «الْحُدْفُ فاعل التزيين؛ لأنَّ المزِينَ لهم أمور كثيرة: منها خَلْقُ بعض الأشياء حسنة بدعة كمحاسن الذوات والمناظر، ومنها إلقاء حُسن بعض الأشياء في نفوسهم، وهي غير حسنة كقتل النفس. قوله: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على جملة ﴿ذِنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إلخ، وهذه حالة أعجب من التي قبلها، وهي حالة التباكي والغرور؛ إذ لم يقتصروا على افتتانهم بزهرة الحياة الدنيا حتى سخروا بمَنْ لم ينسج على منوالهم من المؤمنين». (التحرير والتنوير: ٢٧٨ / ٢ - ٢٧٩).

٢١٣ - كان الناس منذ زمن آدم إلى زمن نوح متفرقين على الإيمان بالله تعالى، ثم اختلفوا، فبعث الله الأنبياء هداية للبشر، مبشِّرين المؤمنين بالجنة، ومبشِّرين الكفار من النار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الثابت ليحكموا بما فيها بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف في الكتب السماوية إلا اليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل؛ إذ فيها الأدلة الواضحة على صدق الكتاب ونبيه محمد ﷺ. وهذا الخلاف من أجل الظلم

والحسد، فوَّقَ الله المؤمنين بفضله إلى تمييز الحق من الباطل، والله يُوْفِقُ مَنْ يشاء من عباده إلى الطريق القويم.

أخرج الطبرى والحاكم بسنن صحيح عن ابن عباس رض: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومُنذرين. قال: «وكذلك هي في قراءة عبد الله: «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا».

(وصححه الحاكم ووافقه الذهبي - المستدرك ٥٤٦/٢. وصحح إسناده ابن كثير في التفسير ٢٥٠/١).

قال ابن عاشور: «والتعريض بأهل الكتاب - وهم أشهر أهل الشرائع يومئذ - فيما صنعوا بكتبهم من الاختلاف فيها، وهذا من بديع استطراد القرآن في توبیخ أهل الكتاب. وجيء بالموصول دون غيره من المعرفات لما في الصلة من الأمر العجيب، وهو أن يكون المختلفون في مقصد الكتاب هم الذين أعطوا الكتاب؛ ليزيلوا به الخلاف بين الناس، فأصبحوا هم سبب خلاف فيه». (التحریر والتنویر: ٢٩٢/٢).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - طريق الإسلام واحد، وطرق الشيطان متعددة.
- ٢ - التحذير من مداخل الشيطان.
- ٣ - تقرير أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يأتي في ظلِّ من الغمام يوم القيمة للحساب.
- ٤ - إعطاء الله تعالى لبني إسرائيل الكثير من الآيات الباهرة والدلائل الظاهرة، ولكنهم لم يَرْعُوهَا حق رعايتها.
- ٥ - مَنْ جَحَدَ نِعَمَ الله تعالى استحق العقاب.
- ٦ - غرور الكفار بملذات الدنيا أحد أسباب السخرية بالمؤمنين.
- ٧ - مقام المؤمنين في الآخرة أعلى وأعلى من منازل الكفار.
- ٨ - قال الشيخ الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ فَوْهَمُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لم يبين هنا فوقية هؤلاء المؤمنين على هؤلاء الكفرا، ولكنه بين ذلك في

مواضع أخرى كقوله: ﴿فَإِلَيْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَابِيكَ يَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤ - ٢٥] وقوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةً أُدْخِلُوْنَ الْجَنَّةَ لَا خَوْفُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

٩ - قال ابن عاشور: «الآية (٢١٣) تقتضي تحذير المسلمين من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف في الدين، أي: في أصول الإسلام، فالخلاف الحاصل بين علماء الإسلام ليس اختلافاً في أصول الشريعة». (التحرير والتنوير: ٢٩٤ / ٢).

١٠ - البشرية كانت على التوحيد مدة عشرة قرون من الزمن، ثم دبَّ الشرك فيها.

١١ - من رحمة الله تعالى إرسال الرسل للتبيشير بالجنة، والتحذير من النار.

١٢ - الرجوع إلى حكم الله تعالى لحل الخلاف والنزاع.

١٣ - المؤمنون يتبعون الحق، فيرشدهم الله إلى الطريق الصحيح.

١٤ - في الآية (٢١٢) إخبار عن أمر مستقبلي عن رزق الله تعالى بغير حساب لِمَنْ يشاء من عباده.

١٥ - في الآية (٢١٣) إخبار عن أمر مستقبلي عن هداية الله تعالى إلى الإسلام لِمَنْ يشاء.

١٦ - ينظر: شجرة الأنبياء والرسل، كما في الملحق.

﴿أَمْ حِسِّبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَا يَأْتِكُم مَثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ
وَالْأَضَرَاءُ وَزُلُّولُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ فَرِيبٌ ﴾٢١٤﴾
يَسْأَلُوكُمْ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا آنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الْدِينُ وَالْأَقْرَبُينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمُسْكِنِينَ وَابْنِ
الْسَّكِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾٢١٥﴾ كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ
وَعَسَىٰ أَن تَكُرْهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحْجُّوا شَيْئًا وَهُوَ شُرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾٢١٦﴾ يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدْرٌ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُثُرٌ فِيهِ وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَفْتَنَهُ أَكْبَرُ
مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَأُونَ يُقْتَلُوكُمْ حَتَّىٰ يُرْدُوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُو وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ
عَنِ دِينِهِ فَيُمْتَأْنِتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُوكُمْ ﴾٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾٢١٨﴾

التفسير:

٢١٤ - هل تظنون - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان وحده، ولما يُصبكم الابتلاء مثل ما أصاب المؤمنين الذين سبقوا، فقد أصابهم الفقر، والمرض، والرعب، وأزعجوا بأنواع من البلایا، حتى استبطأ الرسول والمؤمنون معه النصر من الله تعالى، فيقولون: متى يأتينا نَصْرُ الله الذي وُعِدْنا به؟ ألا فَأَبْشِرُوْنا بالنصر، فإنه قد حان أوانه.

٢١٥ - يسألوك أصحابك أيها النبي: ماذا ينفقون؟، وعلى من ينفقون؟ فأجبهم: أنفقوا ما تيسر من أصناف المال الحلال للوالدين والأقربين من أهليكم، واليتامى الذين فقدوا آباءهم، ولم يبلغوا الحُلم، والقراء، والمسافرين الذين فارقوا أموالهم، وما تقدّموا من خير فإن الله عالم به، ومجازٍ عليه.

٢١٦ - فرض عليكم - أيها المؤمنون - قتال الكفار لحماية الدين وأهله، وهو شاقٌ تستقله النفوس؛ لما فيه من التضحيات، وربما تكرهونه وهو خير

لهم، وقد تحبون الراحة وترك القتال وهو شر لكم. وهذا الفرض فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، ويكون فرض عين على كل مسلم إذا داهم العدو بلاد المسلمين. والله يعلم ما فيه مصالحكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاستجيبوا الله.

٢١٧ - سبب النزول:

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلوات الله عليه وسلامه بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح أو عبيدة بن الحارث، فلما ذهب ينطلق بكى صبابة إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، فجلس. فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكانه وكذا، فقال: «**لَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا عَلَى السَّيْرِ مَعَكُمْ مِنْ أَصْحَابِكَ**». فلما قرأ الكتاب، استرجع، وقال: سمعاً وطاعة الله ولرسوله. فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجالان ومضى بقيتهم، فلَقُوا ابن الحضرمي، فقتلوه. ولم يدرؤا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى؟ فقال المشركون للMuslimين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأُلُونَكُمْ عَنِ الْأَحْرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية. (وآخرجه البيهقي في (الستن الكبرى ٩/١١)، وحسنه الحافظ ابن حجر العجائب في بيان الأسباب ق ٨٧ ب) وصححه السيوطي في الدر المثور).

التفسير:

يسألك بعض الناس - أيها النبي - عن جواز القتال في الشهر الحرام في شهر رجب عندما قُتل أحد المشركين على أيدي أحد المسلمين، فجاء الجواب: قل يا محمد: القتال فيه ذنب عظيم، ولكن منعكم في الشهر الحرام عن الدخول في الإسلام، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم النبي صلوات الله عليه وسلامه والمؤمنين من أهل مكة أعظم ذنباً عند الله من القتال في الشهر الحرام، والشرك الذي أنت عليه، وفتنة المؤمنين عن دينهم أكبر إثماً من القتل. ولا يزال الكفار يقاتلونكم أيها المؤمنون، وهذا القتال مستمر حتى يرددوكم عن دينه إلى الكفر إن تمكنا من ذلك، ومن تنازل إلى رغبتهم منكم، وارتدى عن دينه فمات على الكفر، فأولئك البداء عن الحق بطلت أعمالهم الصالحة في الدنيا والآخرة، وأولئك البداء عن رحمة الله، أهل النار هم فيها ماكثون أبداً.

قال الشيخ الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرَأُونَكُمْ حَتَّىٰ يُرْدُوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطُعُوهُ﴾ لم يبين هنا هل استطاعوا ذلك أو لا؟ ولكنه بين في موضع آخر أنهم لم يستطعوا، وأنهم حصل لهم اليأس من رد المؤمنين عن دينهم، وهو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَسُّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوهُمْ وَأَخْشُونَ أَيَّوْمًا أَكْلَمُتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَكُمْ فَمَنِ أَصْطَرَ فِي مُخْكَرَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] وبين في مواضع آخر أنه مظهر دين الإسلام على كل دين كقوله في براءة، والفتح، والصف، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرُهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ﴾ [التوبه: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩].»

٢١٨ - سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه رهطاً، وبعث عليهم عبد الله بن جحش فقال بعض المشركين: إن لم يكونوا أصابوا وزراً فليس لهم أجر، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

التفسير:

إنَّ المؤمنين الذين عملوا الصالحات، والذين فارقوا الأهل والأوطان، وقاتلو الأعداء لإعلاء كلمة الله، أولئك أصحاب المنزلة العالية يرغبون في ثواب الله وفضله. والله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور: «﴿أَم﴾ في الإضراب كـ «بل» إلا أنَّ «أم» تؤذن بالاستفهام، وهو هنا تقرير بذلك وإنكاره إن كان حاصلاً أي: بل أحسبتم أن تدخلوا دون بلوى، وهو حسبان باطل لا ينبغي اعتقاده». (التحرير والتنوير: ٢/٢٩٧).

٢ - من حكمة الله تعالى ابتلاء الأمة؛ للتعود على الصبر والمرابطة حتى تؤهل للنصر.

٣ - وجوب الصبر على الأذى والعقاب فإنه اختبار للمؤمنين، والمهم أن ينجحوا في هذا الاختبار.

- ٤ - وَعْدُ الله حق بنصره لعباده المؤمنين .
- ٥ - خير النفقه ما كانت للوالدين والأقرب فالأقرب .
- ٦ - فرضية الجهاد للدفاع عن الدين والوطن والمسلمين ، وإعلاء كلمة الله تعالى .
- ٧ - من حكم تحريم القتال في الأشهر الحرم تأمين سبل الحج والعمرة .
- ٨ - تحذير المؤمنين من فتن الكفار ، وخطورة الردة فإنها تحبط أعمال الدنيا .
- ٩ - بيان فضل من يهاجر وي jihad في سبيل الله ابتغاء رحمة الله ومغفرته .
- ١٠ - قال ابن عاشور : «حكمة تشريع قتل المرتد - مع أنَّ الكافر بالأصل لا يُقتل - أن الارتداد خروج فرد أو جماعة من الجماعة الإسلامية فهو بخروجه من الإسلام بعد الدخول فيه ينادي على أنَّه لما خالط هذا الدين وجده غير صالح ، ووجد ما كان عليه قبل ذلك أصلح ، فهذا تعريض بالدين واستخفاف به ، وفيه أيضاً تمهيد طريق لمن يريد أن ينسلي من هذا الدين وذلك يقضي إلى انحلال الجماعة». (التحرير والتنوير : ٣١٩ / ٢) .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرٌ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكِرُونَ ﴿٢١﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَمَّيْ قُلْ إِصْلَاحٌ هُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِلَّا خَوَّنُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَتْ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمْمَةُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُهُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَذْدُ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمُهُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الظَّنَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

٢١٩ - سبب النزول:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بِّينْ لنا في الخمر بِياناً شافياً، فنزلت الآية في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴿ قال : فُدُعِيَ عَمْرُ ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيْنَنَا فِي الْخَمْرِ بِيَانًا شَافِيًّا ، فَزُلِّتِ الْآيَةُ التِّي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَشْمُمُ سُكْرَى﴾ [النساء: ٤٣] فَكَانَ مَنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى : أَنْ لَا يَقْرَبَنَ الصَّلَاةَ سُكْرَانَ ، فُدُعِيَ عَمْرُ ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيْنَنَا فِي الْخَمْرِ بِيَانًا شَافِيًّا ، فَزُلِّتِ الْآيَةُ التِّي فِي الْمَائِدَةِ . فُدُعِيَ عَمْرُ ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿فَهَلْ أَنْتُ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١] قَالَ عَمْرُ : انتهينا انتهينا .

(مسند الإمام أحمد برقم ٣٧٨، وأبو داود (السنن، الأشربة برقم ٣٦٧٠)، والترمذى (السنن - التفسير برقم ٣٠٤٩)، والحاكم (المستدرك ٢/٢٧٨)، ونقل ابن كثير تصحیحه عن علي بن المديني، وصححه الترمذى والحاکم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذى، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند، وصححه محققو المسند (٤٤٢/١ برقم ٣٧٨).

التفسير:

يسألك المسلمون - أيها الرسول - عن حكم الخمر، وهو كل مسكر خامر العقل. ويسألونك عن حكم القمار - وهوأخذ المال وإعطاؤه بالمقامرة، وهي المغالبات التي فيها عوض من الطرفين - قل لهم: في تعاطيها ذنب كبير، ومفاسد كثيرة، وفيهما أيضاً منافع مالية ضئيلة لكنها خبيثة، وجرائمها أكبر من نفعهما؛ لما فيهما من الصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، ووقوع العداوة، وكان هذا تدرجاً وتمهيداً لتحریمهما. ويسألونك عن القدر الذي ينفقونه في سبيل الله، قل: أنفقوا ما زاد على الحاجة ونفقة العيال. مثل ذلك التوضیح يبین الله لكم الآيات والأحكام؛ کی تتأملوا في سعادة الدارين.

قال الشيخ الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ لم يبین هنا ما هذا الإثم الكبير؟ ولكنه بیّن في آية أخرى أنه إيقاع العداوة والبغضاء بينهم، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهي قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوةُ وَالْبَغْضَاءُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].

ويسألونك عن معايشة اليتامي ومخالطتهم والإشراف على شؤونهم وأموالهم. قل لهم: العيش معهم لإرشادهم والمحافظة على أموالهم خير من

تركهم، وإن تغالطوا أموالهم مع أموالكم فلهم ذلك؛ لأنهم إخوانكم في الدين، وعلى الأخ أن يحافظ على مصلحة أخيه، والله يعلم المفسد لأموالهم، بأكملها وتضييعها، ويعلم المصلح لها بتنميتها وإصلاحها. وفي ذلك وعد ووعيد. ولو أراد الله لضيق عليكم بتحريم المخالفات، ولكنه يسر لكم الأمر. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبیره.

٢٢١ - يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَكَاحِ الْمُشْرِكَاتِ: لا تتزوجوا المشرفات الوثنيات حتى يدخلن في الإسلام، واعلموا أن التزوج بمملوكة مسلمة خير من حرّة مشرفة، وإن أعجبتكم المشرفة بجمالها أو مالها، ولا تزوجوا المشرفات بالمؤمنات، وتزويج مملوك مؤمن خير من حرّ مشرفة، وإن أعجبكم المشرفة، فهولاء المتصفون بالشرك البداء عن رحمة الله يدعون كلَّ مَنْ يعاشرهم إلى الخباثة الموجبة للنار، والله يدعوكم إلى هذا الدين، الإسلام المؤدي إلى الجنة ومغفرة الذنوب، ويوضح الله آياته وأحكامه للناس؛ لكي يتعظوا.

قال الشيخ الشنقيطي: «ظاهر عمومه شمول الكتابيات، ولكنه بين في آية أخرى أن الكتابيات ليس داخلات في هذا التحريم، وهي قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥] فإن قيل: الكتابيات لا يدخلن في اسم المشرفات بدليل قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البيت: ١] قوله: ﴿مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥] والمعطف يقتضي المغايرة، فالجواب: أن أهل الكتاب داخلون في اسم المشرفات كما صرّح به تعالى في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ فَوْلَاهُمْ بِأَفْوَهِهِمْ يُضَّلُّهُمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَنَّلَهُمْ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾[٣١] أَنْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَتُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرِيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحَدًّا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، كَمَا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: ٣٠ - ٣١].

أخرج الطبرى وابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن عباس رض قوله: ﴿وَلَا نَكْحُوُ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ﴾ ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ ﴿٥﴾ [المائدة: ٥].
 (ينظر: التفسير الصحيح ٣٢١ / ١).

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال الدكتور محمد جميل الحبّال: «إن الخمر هي من المشروبات المسكرة التي تحتوي على مادة مخدرة سامة لخلايا الجسم عامة، وللخلايا العصبية خاصة، وهي الكحول الأثيلي (Ethyl Alcohol) - (Addiction) الذي يؤدي إلى الإدمان، والإدمان هو التعلق الجسدي والنفسي - (Physical and Psychological) بال المادة المخدرة، واللجوء إلى زيادة الجرعة منها تدريجياً للحصول على المفعول المخدر نفسه الذي يحصل عليه المدمن سابقاً، ويحصل ذلك حتى لو تناولها الشخص بكميات قليلة وبصورة دائمة، حيث إن مفعولها تراكمي، وينتج عنه عشرات الأمراض في مختلف أجهزة الجسم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

أ - الجهاز الهضمي: التهابات وتقرحات ونزيف وتصلب وضمور وسرطان يصيب مختلف أعضاء الجهاز الهضمي، كالفم والمريء والمعدة والأمعاء والبنكرياس والكبد (التهاب وتشمع وسرطان الكبد الكحولي) (Alcoholic Hepatitis, Cirrhosis and Cancer).

ب - القلب وجهاز الدوران: ارتفاع ضغط الدم، والختناق الصدري، وتضخم عضلة القلب مع قصوره (اعتلال القلب الكحولي - Alcoholic Cardiomyopathy)، واضطراب في النظم القلبية (Dysrhythmias) وتصلب الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية (الأوعية الدموية) نتيجة لترانيم الدهون على جدرانها، فتصبح متصلبة ضيقة مؤدية للإصابة بالجلطات القلبية والدماغية، وكذلك في الأطراف لقلة التروية الدموية (Ischemia).

ج - الجهاز العصبي: ضمور في المخ والمخيخ في رجفة، وتراجع في القوى الفكرية وداء الصرع، والتهاب الأعصاب الكحولي في الأطراف (Alcoholic Peripheral Neuropathy) واضطراب في التصرفات السلوكية والشعورية، وعُصاب وذهان حاد ومزمن، واكتئاب وصداع، وضياع عقلي حاد أو مزمن مع غيبوبة (Alcoholic Encephalopathy).

د- الجهاز البولي والتناسلي: قصور في عمل الكليتين، وتضخم وسرطان البروستات، وسرطان المثانة، وضعف الباءة بالرغم من زيادة الشعور بالإثارة الجنسية، والإصابة بالعقم.

ه- السرطان: إن ثلث الأمراض السرطانية هي نتيجة إدمان الخمر والتدخين.

و- أمراض المرأة: إن جسم المرأة لا يتحمل نصف الكمية التي يتحملها الرجل من الكحول، والكافية بإحداث جميع الأمراض الوبيلة المذكورة أعلاه وغيرها، فضلاً عن إصابتها باضطراب الدورات الشهرية، وكثرة الإجهاض، والتشوهات الخلقية في الجنين في حالة الحمل، وولادة أجنة ناقصة تسمى بـ(متلازمة الجنين الكحولي) (Alcohol Fetal Syndrome).

ز- كثرة حالات دخول المستشفيات بسبب الخمر: في بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. تسبب الخمر بدخول أكثر من ٤٠٪ من نزلاء المستشفيات بمختلف الأمراض المتعلقة بها. وفي مستشفيات الأمراض العقلية في هذه البلدان أيضاً فإن ما بين ثلث ونصف نزلائها هم من المرضى الذين يتعاطون الكحول بكثافة».

٢- تحريم شرب الخمر، ودللت النصوص الشرعية على أنها من كبائر الذنوب.

٣- تحريم لعب القمار، ودللت النصوص الشرعية على أنه من كبائر الذنوب.

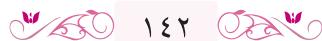
٤- بيان حق رعاية اليتيم وتنمية أمواله.

٥- تحريم زواج المشركات وتحريم تزويج المشركين من المؤمنات.

٦- جواز نكاح الكتيبة المحصنة، وكره ذلك بعض أهل العلم.

٧- تحريم نكاح المرأة المسلمة الرجل المشرك أو الكتابي.

٨- قال ابن عاشور: «**حَتَّىٰ يُؤْمِنُ**» غاية للنهي فإذا آمنَ زال النهي، ولذلك إذا أسلم المشرك ولم تسلم زوجته تَبَيَّنَ منه إلا إذا أسلمت عقب إسلامه بدون تأخير». (التحرير والتنوير: ٣٤٣/٢).



﴿وَيَسْأَلُونَاكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا نَطَهَرْنَ فَاقْتُلُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْتَّوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نَسَاؤُكُمْ حَرَثٌ لَكُمْ فَاقْتُلُوا حَرَثَكُمْ أَنِّي شَهِيدٌ وَقَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَكُوْهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْصَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبْرُوْ وَتَنْقَلِبُوْ وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُوَاجِدُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَنِكُمْ يُوَاجِدُكُمْ بِمَا كَسَبْتُ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

٢٢٢ - سبب النزول:

عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضرت المرأة فيهم، لم يؤكلوها ولم يجامعوها في البيوت. فسأل أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَاكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا نَطَهَرْنَ فَاقْتُلُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْتَّوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح». بلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعبد بن بشر فقالا: يا رسول الله! إن اليهود يقولون: كذا وكذا، فلا نجامعنهم؟ فتغير وجه رسول الله صلوات الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد علىهما. فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلوات الله عليه وسلم. فأرسل في آثارهما، فسقاهمما، فعرفا أن لم يجد علىهما.

(صحيف مسلم - الحيض، باب جواز غسل العائض رأس زوجها برقم ٣٠٢) (لم يجد: لم يغضب).

التفسير:

ويسألك - أئتها الرسول - المؤمنون عن جماع النساء وقت الحيض. قل لهم: الجماع وقت الحيض مستقدر، يضر بالدنيا والآخرة، فلا يجوز ذلك، فاجتنبوا جماع النساء في مدة الحيض حتى ينقطع الدم، فإذا انقطع الدم واغتسلن، فجامعونهن في الفرج الذي أحله الله. إن الله يحب المكثرين من الاستغفار، والمتزهدين عن الفواحش والأقدار.

٢٢٣ - سبب النزول:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نَسَاوْكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأُتُوا حَرْثَكُمْ أَئَ شَيْءٌ﴾ . (صحيح البخاري - تفسير سورة البقرة برقم ٤٥٢٨ . وصحيح مسلم - النكاح ، باب جواز جماعه امرأته في قبلها برقم ١١٧ - ١١٨ .)

التفسير:

زوجاتكم موضع نسلكم، وزرع نطفكم، فجامِعوهنَّ في الفرج بأيّ كيفية شئتم، وأحسِنوا لأنفسكم بفعل الأعمال الصالحة، وخفافوا الله وتيقُّنوا أنكم ملائقه يوم القيمة للحساب، وبشّر المؤمنين بالجنة وما فيها .

٢٢٤ - ينهى الله تعالى المؤمنين أن يجعلوا الحلف بالله مانعاً من فعل الخير والتقوى والصلح بين الناس، وذلك بأن يدعوا إلى فعل خير أو صلح، فيحتجّوا بأنهم أقسموا ألا يفعلوا ذلك، بل ينبغي فعل الخير والتکفير عن اليمين، والله سمِيع للأقوال، عليم بالأحوال والأفعال .

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِّنْهَا فَكَفَرْتَ عَنْ يَمِينِكَ وَأَتَ الدِّيْنِ هُوَ خَيْرٌ» . (صحيح البخاري - الأيمان والنذور، باب ١ برقم ١٦٢٢).

٢٢٥ - عن عائشة رضي الله عنها: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ قالت: أَنْزَلْتُ فِي قوله: لا والله، وبلى والله. (صحيح البخاري ١١/٥٤٧ برقم ٦٦٦٣ - الأيمان والنذور، باب ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾).

يعفو الله عنكم إذا حلفتم بغير قصد، فلا ذنب عليكم ولا كفارة، ولكن يعاقبكم بما قَصَدْتُمْ قلوبكم. والله غفور لمنْ تاب، حليم على مَنْ عصاه لا يعجل بالعقوبة .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الجماع وقت الحيض فيه أذى للرجل والمرأة .
- ٢ - جواز إتيان الرجل زوجته مقبلة ومدبرة إذا كان في صمام واحد، بشرط أن يكون في فرجها .

٣ - قال الدكتور محمد جميل الحبال: «أذى المحيض أنواع:

- أ** - منها قذارة دم الحيض أو نجاسته، كما في العرف الفقهى.
- ب** - ومنها أن جريانه في وقته لا يمكن ضبطه كما يضبط البول والغائط.
- ج** - ومنها كراحته؛ لأنَّه يمنع الصلاة والصوم.

د - منها أنه يتضمن تغيرات نسيجية وكيميائية وحيوية في المجرى التناسلي ويجعله عرضة للالتهاب، حيث تكون بطانة الرحم متقرحة تماماً، كما يكون الجلد مسلوخاً، فهو معرض بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح، ومن المعلوم طيباً أن الدم هو خير بيئه لتكاثر المايكروبات ونموها، وتقل مقاومة الرحم للمايكروبات الغازية نتيجة لذلك، ويصبح القضيب يشكل خطراً داهماً على الرحم. ومما يزيد الطين بلةً أن مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض، إذ يقل إفراز المهبل للحامض الذي يقتل المايكروبات، كما تقل المواد المطهرة الموجودة في المهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها.

ليس ذلك فحسب، ولكن جدار المهبل المكون من عدة طبقات من الخلايا يرق أثناء الحيض، ويصبح جداره رقيقاً ومكوناً من طبقة رقيقة من الخلايا، لهذا فإن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل في أثناء الحيض ليس إلا إدخالاً للمايكروبات في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقاوم، كما أن وجود الدم يساعد في نمو تلك المايكروبات وتتكاثرها، ولا يقتصر الأذى على الحائض في وطئها، وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطئها أيضاً بتكاثر المايكروبات، والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل، وتنتقل المايكروبات إلى البروستات والمثانة وبقية المسالك البولية، وذلك أنه ما من نجاسة إلا ويتوقع حصول الضرر من التلوث بها. فلما كان المحيض كذلك اقتضى الأمرأخذ الاحتياط لئلا يتحول الأذى إلى ضرر، وذلك بتكرار تنظيف المنطقة في فترة الحيض، وعدم تركه يتراكم برائحته الكريهة، وكذلك بالامتناع عن الجماع».

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْرُبُهُنَّ حَتَّى يَطْهُرُنَّ﴾ جاء النهي عن قربانهم تأكيداً للأمر باعتزالهنّ، وتبييناً للمراد من الاعتزال، وأنه ليس التباعد عن الأزواج بالأبدان.

٥- قال ابن عاشور: «الفاء في ﴿فَلَمَّا حَرَثُكُمْ أَنِّي شَيْطَنٌ﴾ فاء فصيحة لابتناء ما بعدها على تقرر أن النساء حرث لهم، لاسيما إذا كانوا قد سألوا عن ذلك بلسان المقال أو بلسان الحال». (التحرير والتنوير ٣٥٣ / ٢).

٦- النهي عن كثرة الحلف بالله تعالى.

٧- جواز قول: لا والله، وبلى والله، من غير تأكيد وعزم.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَاءِهِمْ تَرْبِضُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾٢٢٦
أَطْلَقَنَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴾٢٢٧﴾ وَالْمُطْلَقَنَ يَرْبَضُنَ بِأَنفُسِهِنَ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ
يَكْتُمُنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدَّهُنَ فِي ذَلِكَ إِنَّ
أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَكِيمٌ ﴾٢٢٨﴾
أَطْلَقُنَ مَرَّاتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا
إِيَّيْمُوهُنَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
فِيمَا أَفْدَتُ بِهِ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَنْعَدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾٢٢٩﴾ فَإِنْ
طَلَقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرْجِعَا إِنْ ظَنَّا
أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾٢٣٠﴾

التفسير:

٢٢٦- ٢٢٧- للذين يحلفون بالله ألا يجامعوا نسائهم للإضرار بهن: انتظار أربعة أشهر، فإن رجعوا عن يمينهم، فإن الله غفور لما وقع منهم من الحلف؛ بسبب رجوعهم، رحيم بهم، وإن قصدوا الطلاق باستمرارهم على اليمين وترك الجماع، فإن الله سميع لأقوالهم، عليم بمقاصدهم.

قال ابن عاشور: «قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ دليل الجواب، أي: فحنثهم في يمين الإيلاع مغفور لهم؛ لأن الله غفور رحيم، وفيه إذان بأن الإيلاع حرام. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ دليل الجواب، أي: فقد لزمهم وأمضى طلاقهم، فقد حدَّ الله للرجال في الإيلاع أجلاً محدوداً،

لا يتجاوزونه، فـإِمَّا أَنْ يَعُودُوا إِلَى مُضاجعة أَزْوَاجِهِمْ، وـإِمَّا أَنْ يُطْلُقُوهَا». (التحرير والتنوير ٣٦٧ - ٣٦٦).

٢٢٨ - وعدة النساء المطلقات: انتظار من غير زواج باـآخر ثلاث حيضات، أو ثلاثة أطهار، حسب مصلحة الزوجين في الأخذ بالأقل زمناً أو بالأكثر، ويحرم عليهن إخفاء ما خلق الله في أرحامهن من الحمل أو الحيض، إن كـنَّ يصدقـن بالله واليوم الآخر.

قال الشيخ الشنقيطي : «قوله تعالى : ﴿وَالْمَطْلَقَتُ يَرْبَصُ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةٌ قُوْرُعٌ﴾ ظاهر هذه الآية شمولها لجميع المطلقات ، ولكنه يـبـيـن في آيات أـخـرـ خـروـجـ بعضـ المـطـلـقـاتـ منـ هـذـاـ الـعـومـ ، كالـحـوـامـلـ الـمـنـصـوصـ عـلـىـ أـنـ عـدـتـهـنـ وـضـعـ الـحملـ ، فيـ قـوـلـهـ : ﴿وَأُولَئِكَ الْأَهْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعُنَ حَمَلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] ، وكـالمـطـلـقـاتـ قـبـلـ الدـخـولـ الـمـنـصـوصـ عـلـىـ أـنـهـنـ لـاـ عـدـةـ عـلـيـهـنـ أـصـلـاـ ، بـقـوـلـهـ : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا إِذَا نَكْحَثُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْنَاهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَّةٍ تَعْدُونَهَا فَمَتِعُوهُنَّ وَسِرْحُونَ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. وأـزـوـاجـ الـمـطـلـقـاتـ أـحـقـ بـمـرـاجـعـتـهـنـ فيـ فـتـرـةـ الـعـدـةـ إـنـ قـصـدـوـاـ الصـلـحـ وـالـخـيـرـ ، ولـلـزـوـجـاتـ عـلـىـ الرـجـالـ مـنـ الـحـقـوقـ مـثـلـ مـاـ عـلـيـهـنـ مـنـ الـوـاجـبـاتـ بـحـسـنـ الـمـعـاـشـةـ ، ولـلـرـجـالـ عـلـىـ النـسـاءـ مـنـزـلـةـ زـائـدـةـ هـيـ الـقـوـامـةـ ، بـسـبـبـ الـإنـفـاقـ ، وـالـقـيـامـ بـمـسـؤـولـيـةـ الـجـهـادـ . وـالـلـهـ عـزـيزـ فـيـ مـلـكـهـ ، حـكـيمـ فـيـ تـدـبـيرـهـ . وـلـمـ يـبـيـنـ هـنـاـ مـاـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ التـيـ لـلـرـجـالـ عـلـىـ النـسـاءـ ، وـلـكـنـهـ أـشـارـ لـهـاـ فـيـ مـوـضـعـ آخـرـ ، وـهـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿الرِّجَالُ قَوْمٌ عَلَى السَّكَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] وقد أـشـارـ تـعـالـىـ إـلـىـ نـقـصـ الـمـرـأـةـ وـضـعـفـهـاـ الـخـلـقـيـنـ الطـبـيـعـيـنـ ، بـقـوـلـهـ : ﴿أَوَمَنْ يُشَكُُّ فِي الْحَلِيلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخُصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] ، وـأـشـارـ بـقـوـلـهـ : ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] إـلـىـ أـنـ الـكـامـلـ فـيـ وـصـفـهـ وـقـوـتـهـ وـخـلـقـتـهـ يـنـاسـبـ حـالـهـ أـنـ يـكـونـ قـائـمـاـ عـلـىـ الـضـعـيفـ النـاقـصـ خـلـقـةـ».

٢٢٩ - سبب النزول:

أخرج مالك والترمذى والطبرى وابن أبي حاتم بـسـنـدـ صـحـيـحـ عنـ عـرـوـةـ بنـ الزـبـيرـ رضي الله عنه : كانـ الرـجـلـ إـذـ طـلـقـ اـمـرـأـهـ ، ثـمـ اـرـتـجـعـهـ قـبـلـ أـنـ تـنـقـضـيـ عـدـتـهـ كانـ ذـلـكـ لـهـ ، وـإـنـ طـلـقـهـ أـلـفـ مـرـةـ ، فـعـمـدـ رـجـلـ إـلـىـ اـمـرـأـهـ ، حـتـىـ إـذـ

شارفت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها، ثم قال: لا والله لا آويك إلي، ولا تحلين أبداً، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿الْطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ شَرِيعٌ بِإِحْسَنٍ﴾ فاستقبل الناس الطلاق جديداً من يومئذ من كان طلقاً منهم، أو لم يطلق. واللفظ لمالك . (الموطأ - الطلاق - باب جامع الطلاق ٥٨٨ / ٢ - السنن - الطلاق واللعان ٤٨٨ / ٣ - وأخرج الترمذى والحاكم وصححه (المستدرك ٢٧٩ / ٢ - ٢٨٠) والبيهقي (السنن الكبرى ٣٣٣ / ٧) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على الطبرى كلهم عن عروة عن عائشة وتكلم في سنته بسبب يعلى بن شبيب، ولكنه رُوي من طرق مرسلة تقويه).

التفسير:

الطلاق المشروع الذي تجوز بعده الرجعة مرتان، واحدة ثم الأخرى، وبعد كل طلقة ينبغي إمساك المرأة بحسن العشرة، أو فراق بإحسان وطيب قول، مع إعطائها هدية أو شيئاً من المال، ولا يحل لكم - أيها الأزواج -أخذ شيء مما أعطيتموهن من المهر أو غيره، إلا أن يخاف الزوجان سوء العشرة، فحينئذ يُعرِضان أمرهما على الأولياء أو الحُكَّام. فإن ظهر أنهما لا يقومان بالحقوق الزوجية، فلا إثم على الطرفين إذا أرادت الزوجة أن تخلع، بأن تدفع المرأة ثمن مهرها، أو شيئاً من المال، فلا إثم عليهما بذلك. تلك الأحكام العالية القدر فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوزها فأولئك البداء عن الحقّ، وهم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم.

٢٣٠ - فإن طلق الزوج زوجته طلقة ثالثة فلا تحل له رجعتها حتى تتزوج زوجاً آخر زواجاً صحيحاً دائماً، ويجامعتها فيه بصدق رغبة، فإن طلقها الزوج الثاني، أو مات عنها وانقضت عدتها، فلا حرج على الزوج الأول والمرأة أن يتزوجا بعقد جديد إن علموا أنها سبقاً أحکام الله. وتلك أحكام الله يوضحها لقوم يعلمون حقّ أحكامه .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - المحافظة على حقّ المرأة إذا حلف الزوج أنه لا يجامعها للإضرار بها .
- ٢ - تقرير تشريع الطلاق والالتزام بأحكامه وعدم التساهل فيه .
- ٣ - يحقُّ للزوج مراجعة مطلقته إذا لم تكن عدتها قد انتهت، ولا يجوز لها أن تُخْطبَ، ولا أن تتزوج خلال هذه المدة .

٤ - بما أنه ثبت عن جمع من الصحابة رض والتابعين رحمهم الله أنَّ القُرْءَ هو الحيض، وكذلك ثبت عن جَمِيعِ منهم أنه الطهر، فيمكن الجمع بين القولين بأنَّ يُنَظَّر في حال الزوجين: فإذا كان ثمة أمل في الصلح فيؤخذ أبعد الأجلين لإتاحة الفرصة للصلح، وأما إذا كان الأمر قد بلغ أشده من الخلاف، وأنه لا أمل في الصلح، فيؤخذ أقصر الأجلين للتفريق بينهما بأقرب وقت للقضاء على الخلاف.

٥ - لا يجوز للمرأة المطلقة إذا ثبت أنها حامل أن تكتم ذلك، كما لا يحل لها أن تكتم وقت حيضها أو طهرها.

٦ - إذا طلق الزوج زوجته طلقة ثالثة حُرِّمَتْ عليه إلا بعد نكاح صحيح غير محلل، أو بعد وفاة زوجها.

٧ - من التيسير في الدين أنَّ الطلاق مفرق، ويملك الزوج مراجعة زوجته بعد كل طلقة من الطلقتين.

٨ - قال ابن عاشور: «**حدود**» هي أحکامه وشرائمه، شبهت بالحدود، لأن المكلف لا يتتجاوزها فكأنه يقف عندها». (التحریر والتتّویر: ٤٠٠ / ٢).

٩ - قال الدكتور محمد جميل الحبالي عن الآية (٢٢٨): «إن كون عدة المطلقة ثلاثة قروء - حيضات - تكفي لنفي الحمل، وذلك أن المتخصص في طب النساء والتوليد يجد نسبة قليلة من الحوامل تخالف القاعدة العامة في عدم الحيض أثناء الحمل، فهي قد تحمل ويحصل عندها نزف فيسيولوجي يشبه دم الحيض، وذلك نتيجة انغراس البيضة الملتحقة في بطانة الرحم *Implantation* في نهاية الأسبوع الثالث من آخر دورة شهرية - قراء -، أو نهاية الأسبوع الأول لبدء الحمل، أي: في موعد الدورة الشهرية تقريباً، وقد يحصل كذلك نزف فيسيولوجي ثانٍ ما بين الأسبوع السابع والثامن للحمل، نتيجة انخفاض نسبة هرمون البروجستيرون *Progesteron* في هذه الفترة، حيث تقل نسبته لتوقف تكوينه من الجسم الأصفر *Corpus Luteum* في المبيض وتحول إفرازه إلى المشيمة *Placenta*، حيث يؤدي هذا الانخفاض أثناء التحول في تكوينه وإفرازه لحدوث نزف رحمي يشبه الدورة الشهرية الثانية، مما يجعل الحامل تعتقد أنه حيض للمرة الثانية وهي حامل ولكنها

تجهل ذلك، ولكن لا يحدث نزف فيسيولوجي ثالث يلتبس على الحامل، ما عدا في حالات النزف الناتج عن الإسقاط المهدد أو المحتم التي يحدث غالباً في الأشهر أو الأسابيع الأولى للحمل، وفي أي وقت منه، وبضمته موعد الدورة الشهرية السابق، ويكون عادة مصحوباً بأعراض وعلامات طبية أخرى معروفة. وهذه هي الحكمة في تشريع الطلاق، إذ جعل الله تعالى مدة العدة لثلاث حيضات - قروء -، حيث إن الحامل قد تستحيض - يحصل عندها دم يشبه الحيض - مرة أحياناً، ومرتين نادراً - الأسباب الفسيولوجية المذكورة أعلاه -، بينما لا يمكن أن تستحيض للمرة الثالثة، وبذلك تعرف أنها حامل، فتنتهي عدتها في هذه الحالة بعد وَضْع حَمْلِهَا، قال تعالى: ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِضِ مِنْ سَبَلِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعَدْهُنَ شَلَّةً أَشْهَرٌ وَالَّتِي لَمْ يَجِدْنَ وَأَذْكُرُتُ الْأَهْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعُنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْقِقَ اللَّهُ مِنْ أُمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا نَنْهَاذُوا إِيمَانَ اللَّهِ هُرُوا وَأَذْكُرُوا عِنْمَتَ اللَّهِ عَلَيْنَكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَبِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
 ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بِهِنَّمِلْعَرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَرْكَ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

التفسير:

٢٣١ - يخّير الله تعالى الأزواج بين أمرين: وإذا طلقتم نساءكم مرّة أو مررتين، فقاربـنـ انتهاء عـدـتهـنـ، فـراجـعـوهـنـ قبل انتهاء العـدـةـ بنـيـةـ حـسـنـ العـشـرةـ، أو اـتـركـوهـنـ حتـىـ تنـقـضـيـ العـدـةـ بـإـحـسـانـ منـ غـيـرـ تـطـوـيلـ العـدـةـ عـلـيـهـنـ، ولا تـرجـعـوهـنـ بـقـصـدـ الإـضـرـارـ بـهـنـ، كـالـإـلـجـاءـ إـلـىـ الـخـلـعـ وـغـيـرـهـ، وـمـنـ يـمـسـكـهـاـ لـلـإـضـرـارـ بـهـاـ فـقـدـ عـرـضـ نـفـسـهـ لـلـعـقوـبـةـ، وـلـاـ تـهـزـئـوـهـ بـأـحـكـامـ اللـهـ سـبـحـانـهـ، وـأـذـكـرـوـهـ فـضـلـ اللـهـ عـلـيـكـمـ، وـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ عـلـيـكـمـ - القرآن العظيم والسنّة المشرفة -،

واشکروه على ذلك. يُذَكِّرُكُمُ اللهُ ويرشدكم فخافوه، واعلموا أَنَّهُ أحاط بكلٍّ شيء علماً.

قال ابن عاشور: «قوله: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ جعل ظلمهم نساءهم ظلماً لأنفسهم؛ لأنَّه يؤدي إلى اختلال المعاشرة واضطراب حال البيت، وفوات المصالح بشغب الأذهان في المخاصمات. وظلم نفسه أيضاً بتعريضها لعقاب الله في الآخرة». (التحرير والتنوير: ٤٠٣/٢).

٢٣٢ - سبب النزول:

أخرج البخاري عن الحسن: أن أخت معقل بن يسار رضي الله عنه طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها، فخطبها فأبى معقل فنزلت: ﴿فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾.

(صحيح البخاري - التفسير - سورة البقرة، باب ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ الْأَنْسَاءَ فَلَمْ يَفْلَغُنَّ أَجَاهُنَّ فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ برقم ٤٥٢٩).

التفسير:

وإذا طَلَقْتُم نسائكم طلاقاً رجعياً مرةً أو مرتين وانتهت عدتهنَّ فلا تمنعوهنَّ - أيها الأولياء - من العودة إلى أزواجهنَّ إذا رضي كلُّ منهما بالآخر بحسن العشرة. وذلك النهي يتعظ به المؤمن بالله وبال يوم الآخر، وذلك النهي العالي القدر أظهر وأنفع لكم. والله تعالى يعلم ما فيه الصلاح، وأنتم لا تعلمون. قال الشيخ الشنقيطي: «ظاهر قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَمْ يَفْلَغُنَّ أَجَاهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن بالفعل، ولكنَّه بينَ في موضع آخر أنه لا رجعة إلا في زمن العدة خاصة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَبُوْلَهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَهُنَّ فِي ذَلِكَ﴾، لأن الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ راجعة إلى زمن العدة المعتبر عنه بثلاثة قروع في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطْلَقُتُ يَرْبَصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوعٍ وَلَا يَحِلُّ هُنَّ أَنْ يَكْتُمُنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْنَاهُنَّ أَحَقُّ بِرِدَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُتَجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فاتضح من تلك الآية أن معنى ﴿فَلَمْ يَفْلَغُنَّ أَجَاهُنَّ﴾ أي: قاربنَ انقضاء العدة، وأشرفَنَ على بلوغ أجلها.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - النهي عن الإضرار بالزوجة، وعدم التساهل في حقها عند الفراق.
- ٢ - قال ابن عاشور: « قوله: ﴿لَتَعْدُوا﴾ جر باللام ولم يعط بالفاء؛ لأن الجر باللام هو أصل التعليل، وحذف مفعول (تعتدوا)، ليشمل الاعتداء عليهن وعلى أحکام الله تعالى، فتكون اللام مستعملة في التعليل والعاقبة». (التحرير والتنوير: ٤٠٣/٢).
- ٣ - التأكيد المغلظ للالتزام بأحكام الطلاق.
- ٤ - على الأولياء أن يراعوا المراضاة بين الزوجين، فلا ينبغي منعهن من الرجوع إلى بيت الزوجية.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرضِّعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضْكَارَ وَلَدَهُ لَا مَوْلُودُ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ افْصَالًا عَنْ تَرَاضِيهِمْ وَشَأْوِرِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَلَنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أُولَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا إِنَّمَا يُلْمَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

التفسير:

- ٢٣٣ - يجب على الأمهات إرضاع أولادهن سنتين كاملتين لمن أراد كمال الرضاعة، ويجوز ما دونها برضاء الوالدين، ويجب على الآباء نفقة الوالدات المطلقات للطعام والكسوة، من غير إسراف ولا تقتير؛ لأن الله لا يُشُّقُّ على النفوس، ولا يحملُها فوق قدرتها، ولا يجوز إضرار الوالدة بسبب ولدها، ويجب على وارث الأب الوصي على المولود مثل الواجب الذي كان على أبيه من نفقة المرضعة وكسوتها. فإذا أراد الوالدان فطام الولد عن الرضاع قبل الحولين بعد التشاور، فلا إثم عليهما، وإن اتفق الوالدان على إرضاع المولود من مرضعة أخرى غير والدته، فلا حرج عليهما، فإذا

سَلَمَ الْأَبُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْطِيهِ بِإِحْسَانٍ دُونَ تَقْصِيرٍ. وَخَافُوا اللَّهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ.

قال ابن عاشور : «قوله : ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أُولَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ انتقال إلى حالة إرضاع الطفل غير والدته إذا تعذر على الوالدة إرضاعه ، لمرضها ، أو تزوجها أو إن أبى ذلك حيث يجوز لها الإباء ، أي : إن أردتم أن تطلبوا الإرضاع لأولادكم فلا إثم في ذلك». (التحرير والتتوير : ٤١٨ / ٢).

الفوائد والاستنباطات:

١ - بيان حقّ الطفل في الرضاعة. قال الدكتور محمد جميل الجبال عن الآية (٢٣٣) : «فيها إشارة طبية إلى أهمية وأفضلية إتمام الرضاعة لمدة عامين ، وقد أثبتت الدراسات والبحوث الطبية أفضلية وأهمية الرضاعة الطبيعية (رضاعة الثدي) مقارنة بالرضاعة البقرية أو الصناعية (رضاعة القنية) للمحافظة على الصحة الجسمية والنفسية للطفل وللأم على حد سواء ، حيث أوصت تقارير منظمة الصحة العالمية والجمعيات الطبية العالمية المتخصصة بطبع الأطفال ، فضلاً عن منظمة اليونيسيف بالاستمرار على الرضاعة الأمومية لأطول مدة ممكنة وحتى العاشرين ؛ لأنّ هؤلاء الأطفال يكونون أقلّ إصابة بالأمراض العضوية والانتقالية والنفسية مقارنة بغيرهم من الأطفال الذين لا ترضعهم أمّهاتهم» .

٢ - أهمية المشاورات بين الزوجين في تربية الطفل ورضاعته.

٣ - جواز اتخاذ المرضعات إذا تعسر الرضاع من الأم.

٤ - تحريم المضاربة بين الأب والأم ، فلا تمنع الأم عن إرضاعه إضراراً بأبيه ، ولا يجوز منع الأم من ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبَصُنَ بِأَنفُسِهِنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَنَ أَجَلَهُنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾٢٣٧﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَنَذْكُرُهُنَّ وَلَكِنَ لَا تَوْاعِدُوهُنَّ سِرًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِزُوهُنَّ عُقْدَةً الْنِكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَحَدُرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾٢٣٨﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرِضُوهُنَّ فِرِيضَةً وَمَتَّهُنَّ عَلَى الْمُوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْرِنِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فِرِيضَةً فَيُصْفِفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْقُوبُ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي يَبْدِئُ عُقْدَةَ الْنِكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوْ أَفْضَلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾٢٣٩﴾

التفسير:

٢٣٤ - والذين يموتون من الأزواج ويتركون زوجات ، يجب عليهنّ عدة الحِداد أربعة أشهر وعشرة أيام ، فلا يتزوّجْنَ ، ولا يتزَّرنَ ، ولا يخرجنَ من منزل الزوجية إلا لحاجة ، فإذا انتهت هذه المدة فلا إثم عليكم يا أولياء النساء إن رجعن إلى أحوالهنّ المعتادة بحسب المتعارف عليه شرعاً . والله بكل ما تعملون خبير ، وسيجازيكم عليها . قال الشيخ الشنقيطي : « ظاهر هذه الآية الكريمة أن كل مُتَوَفٌ عنها تعتد بأربعة أشهر وعشرين ، ولكنه بين في موضع آخر أن محل ذلك ما لم تكن حاملاً ، فإن كانت حاملاً كانت عدتها وَضْعَ حَمْلِهَا ، وذلك في قوله : ﴿وَأُولَئِكُ الْأَهْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضْعَنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤] ويزيده إضافاً ما ثبت في الحديث المتفق عليه من إذن النبي ﷺ لسبعين الأسلمية ﷺ في الزواج بوضع حملها بعد وفاة زوجها بأيام ، وكون عدة الحامل المتوفى عنها بوضع حملها هو الحق ، كما ثبت عنه ﷺ خلافاً لمن قال : تعتد بأقصى الأجلين ١٠٠». .

٢٣٥ - ولا ذنب عليكم - أيها الرجال - في التلميح بخطبة النساء المعتدات

بسبب وفاة الزوج، أو الطلاق البائن، ولا حرج عليكم فيما أخفيتم في أنفسكم من الرغبة في زواجهنَّ بعد انتهاء عدتهنَّ. عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَلَكُنْ أَحْذَرُوكُمْ أَنْ تَوَاعِدُوهُنَّ عَلَى النِّكَاحِ سَرًّا فِي أَثْنَاءِ الْعُدَدِ، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا حَسَنًا، كَالْقُولُ: إِنَّكَ جَمِيلَةٌ، أَوْ صَالِحةٌ. وَلَا تَعْقِدُوكُمْ عَقْدَ الزِّوْجِ حَتَّى تَتَنَاهِيَ الْعُدَدُ، وَاعْلَمُوكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَخَافُوهُ، وَاعْلَمُوكُمْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ، حَلِيمٌ عَلَيْهِمْ لَا يَعْاجِلُهُمْ بِالْعَقُوبَةِ.

٢٣٦ - لا ذنب عليكم إذا طلّقتم النساء قبل الجماع، وقبل أن تفرضوا لهنَّ مهرًا، وقدّموا لهنَّ هدية أو مالًا بحسب قدر سَعَةِ الرِّزْقِ على الوجه المعروف شرعاً، وهو حق ثابت على الذين يحسنون معاملة المطلقة.

٢٣٧ - وإذا طلّقتم النساء ولم تدخلوا بهنَّ، وقد حَدَّدْتُمْ لهنَّ مقدار المهر، فالواجب عليكم أن تدفعوا لهنَّ نصف المهر، إلا أن تنازل المطلقة عن المهر كله أو بعضه، أو يتسامح الزوج، بأن يترك للمطلقة المهر كله، أو يسقطولي أمرها المهر، وأن تتسامحوها أيها الرجال والنساء فإنه أقرب إلى مخافة الله، ولا تنسوا الإحسان بينكم. إن الله بكل ما تعلمون بصير.

الفوائد والاستنباطات:

١ - حِدَادُ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ (١٣٠) يوْمًا لاستبراء رحمها من زوجها المتوفى. وفيه تعبير عن مكانة الزوج.

٢ - جواز التعرض بخطبة النساء المعتدّات بسبب وفاة الزوج، أو الطلاق البائن.

٣ - الحُثُّ على إعطاء الهدية للمطلقة.

٤ - حقُّ الْمَرْأَةِ فِي أَخْذِ نَصْفِ الْمَهْرِ إِذَا طُلِّقَتْ وَلَمْ يُدْخَلْ بَهَا، وَلَهَا حُثٌّ التنازل عن ذلك، وكذا لوليهَا حُثٌّ التنازل عنأخذ نصف المهر.

٥ - الحُثُّ على العفو والتسامح في الحقوق المالية.

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقَوْمًا لِلَّهِ قَاتِلِينَ ﴾ ٢٣٨ فَإِنْ خَفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْنَمْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّنُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا وَصَيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ عَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ حَرَجَنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٣٩ وَلَمْ طَلَقْتِ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُسَقِّينَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيَّتِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢٤٠﴾

التفسير:

٢٣٨ - عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية: (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر). فقرأناها ما شاء الله. ثم نسخها الله. فنزلت: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ . فقال رجل كان جالساً عند شقيق له: هي إذن صلاة العصر. فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت، وكيف نسخها الله؟ والله أعلم. (صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ٤٣٨ / ١ برقم ٦٣١).

التفسير:

حافظوا - أيها المؤمنون - على إقامة الصلوات الخمس، بأدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها، وحافظوا على صلاة العصر، وداوموا على عبادة الله والصلاة خاشعين ومطيعين.

٢٣٩ - فإن خفتم من عدو لكم، فصلوا صلاة الخوف، مشاةً على الأقدام، أو راكبين، مستقبلي القبلة، أو غير مستقبليها، فإذا زال الخوف، فصلوا صلاة الأمان. واذكروا الله فيها كما علّمكم من الشرائع، ما لم تكونوا على علم به.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا سُئل عن صلاة الخوف قال: يتقدم الإمام وطائفة من الناس، فيصلّي بهم الإمام ركعة، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا، فإذا صلّى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلّمون، ويتقدّم الذين لم يصلّوا فيصلّون معه ركعة، ثم ينصرف

الإمام وقد صلى ركعتين، فيقوم كل واحد من الطائفتين، فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلَّى ركعتين. فإن كان خوف هو أشد من ذلك صَلَّوا رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركباناً مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها. قال مالك: قال نافع: «لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ». (صحيح البخاري ١٩٩/٨ برقم ٤٥٥٣ - كتاب التفسير، باب سورة البقرة).

٢٤٠ - والذين يموتون من الأزواج ويتركون زوجاتهم فليوصوا قبل أن يحتضروا، بأن تُمْتَعَ أزواجاً هنَّ بعدهم سنة كاملة بالنفقة والسكنى، ولا يُحرَجْنَ من سكن أزواجاً هنَّ، فإن خرجن باختيارهنَّ فلا حرج عليكم فيما فعلن في أنفسهنَّ من تَرْكِ الحداد والإقامة والتزيين ونحوه من الأمور المباحة بعد انقضاء عدَّة الوفاة. والله عزيز في ملكه، حكيم في أحکامه. وهذا الحكم نُسخ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّنَ مِنْكُمْ وَيَدْرُوْنَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ عَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فنسخ ذلك بأية الميراث، بما فرض لهنَّ من الربع والثمن، ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً.

(وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود - الطلاق، باب نسخ متاع المتوفى عنها برقم ٢٠١٢).

٢٤١ - ويحقُّ للمطلقات عموماً، المدخول بهنَّ وغير المدخل بهنَّ، متعة من كسوة ونفقة بإحسان، وبالقدر المستطاع للأزواج. وهذه المتعة حقُّ واجب على المتقين الذين يخافون الله تعالى.

٢٤٢ - مثل ذلك البيان الواضح في الحقوق يبيّن الله لكم أحكام الشريعة؛ كي تفهموها وتعلموا بها.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - وجوب المحافظة على الصلوات المفروضة، ولا سيما صلاة العصر.
- ٢ - وجوب إقامة الصلاة حتى في ميدان القتال، وفي هذا دلالة على عظم أهميتها ومنزلتها.

٣ - الحث على إكرام المطلقة بمالٍ أو لباسٍ أو هدية.

٤ - حق المرأة في النفقة والسكن بعد موت الزوج.

﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَهُمُ الْوُفُّ حَدَّارُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْمِنُو أُثْمَانَ أَخِيهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾٢٤٣
وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسِيعُ عَلَيْمُ ﴾٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيُضَعِّفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾٢٤٥﴾ إِنَّمَا تَرَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا لَهُمْ أَبْعَثْتَ لَنَا مَلِكًا نُقْتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ هَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا نُقْتَلُو قَاتِلُو وَمَا أَنَا أَلَا نُقْتَلِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَرِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ
مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوْتَ سَعْكَةً مِنْ
الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ وَاللَّهُ يُوْقِنِي
مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْكُمْ ﴾٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ إِعْلَيَةَ مُلْكِهِ
أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ أَهْلُ مُوسَى وَأَهْلُ
هَدْرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾٢٤٨﴾

التفسير:

٢٤٣ - ألم تسمع - أيها الرسول - خبر الألوف الكثيرة من الذين فرروا من أرضهم خوفاً من أسباب الموت ، فلم ينجوا ، فأماتهم الله جمياً ، ثم تفضل عليهم فأحيائهم ؟ إنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ إِنَّمَا يَنْهَا إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ بِإِيمانِهِمْ وَجَعَلَهُمْ عَبْرَةً ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على فعله .

٢٤٤ - وبعد هذه الموعظة أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال لنصرة دين الله ، فإنَّ الجهاد في سبيل الله لا يقرب أجالاً ولا يبعده ، ثم أكد هذا الحكم بأنَّ ذكر أنَّ الله سمِع لأقوالكم ، عليم بأحوالكم .

٢٤٥ - وبما أنَّ الجهاد في سبيل الله يحتاج إلى عَتَاد، فقد رَغَبَ الله تعالى في الإنفاق في سبيل الله، وجعل مقابل ذلك مضاعفة الأجر الجزيل، والله هو الرَّازِق، يقلل على مَنْ يشاء، ويُوسِعُ على مَنْ يشاء، وإليه ترجعون يوم القيمة؛ لنيل الجزاء.

٢٤٦ - ثُمَّ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بعضاً وقائعاً للجهاد: ألم تعلم - أَيُّها الرَّسُول - قصَّةً أشرف الناس من بنى إِسْرَائِيلَ بعد وفاة موسى عليه السلام? حين سأَلُوا نَبِيًّا لَهُمْ أَن يُولِّي عَلَيْهِمْ قَائِدًا خَبِيرًا بِالْقَتَالِ؛ لِقَتَالِ أَعْدَائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَجَابُوهُمْ أَخْشَى أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمُ الْقَتَالَ ثُمَّ لَا تَقَاتِلُوْا، وَتَجْبُنُوْا مِنَ الْعَدُوِّ. فَاسْتَنَكُرُوا قَائِلِينَ: وَأَيُّ عَذْرٍ يَمْنَعُنَا مِنَ الْقَتَالِ وَقَدْ طَرَدَنَا الْعَدُوُّ مِنْ بَلَادِنَا، وَسَبَى أَبْنَاءُنَا؟ فَلَمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتَالَ: تَخَلَّفُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ثَبَتوْا عَلَى الْعَهْدِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَهْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

٢٤٧ - وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ طَالُوتَ قَائِدًا، فَاسْتَنَكُرُوا قَائِلِينَ: كَيْفَ يَكُونُ طَالُوتَ قَائِدًا عَلَيْنَا وَهُوَ فَقِيرٌ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْهُ بِهَذَا الْمَقَامِ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ نَبِيُّهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ اخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ، وَزَادَهُ سُعَةً فِي الْعِلْمِ، وَقُوَّةً فِي الْجَسْمِ. وَاللَّهُ يَعْطِي سُلْطَانَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ، عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.

٢٤٨ - وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ عليه السلام مُسْتَدِلًا عَلَى صَدْقَ طَالُوتِهِ: إِنَّ عَلَمَةَ مُلْكِ طَالُوتِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الصَّنْدوقَ الَّذِي فِيهِ التُّورَةُ، فِيهِ طَمَانِيَّةٌ وَرَحْمَةٌ مِنْ خَالِقِكُمْ، وَفِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ آثَارِ آلِ مُوسَى وَآلِ هَارُونَ عليهم السلام. تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَضَعُهُ فِي بَيْتِ طَالُوتِهِ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَعْظَمَ بَرْهَانًا لَكُمْ عَلَى اخْتِيَارِهِ، إِنْ كُنْتُمْ مُصْدِقِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - لا يجوز الخروج من البلد الذي يحلُّ به مرض مُعْدٍ كالطاعون؛ لما في ذلك من الفرار من قَدَرِ الله تعالى.

٢ - قضاء الآجال بيد الله تعالى، فلا ينفع الحذر من الموت، كما قال: ﴿أَئِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُسَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

٣ - فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى في مضاعفة الثواب والبركات في الدارين.

٤ - التحذير من ترك الدفاع عن الوطن، وعدم نصرة المظلوم.

٥ - الغنى بالمال ليس مقاييساً على صلاحية القيادة، بل لا بد من المؤهل العلمي والجسدي.

٦ - في الآية (٢٤٧) إخبار عن أمر مستقبلي عن إعطاء الله تعالى الملك لمن يشاء.

٧ - تقرير معجزة التابوت فيه سكينة.

٨ - موعظة أنَّ الأُمَّةَ التي تعصي الله تعالى وتتعدى حدوده، يُسلِّطُ عليها الأعداء فيهزمونها.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُتَّلِّكُ كُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرَبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّمِّي إِلَّا مَنْ أَعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاءَوْزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَاتَلُوا لَا طَاقَةَ لَهَا الْيَوْمَ بِجَاهُوتِ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظْلُونَ أَنَّهُمْ مُلَقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فَتَّةٍ فَلِيَلَهٰ غَبَّتْ فَتَّةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الْصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَاهُوتِ وَجُنُودِهِ قَاتَلُوا بَنِيَّنَا أَفْيَرْ عَلَيْنَا صَبَرًا وَثَبَتَ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاؤُدُّ جَاهُوتَ وَءَاتَكَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تَلَكَءَ اِيَّتِيَ اللَّهُ تَنَوُّهَا عَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لِمَنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

التفسير:

٢٤٩ - فلما خرج طالوت بجنوده من بيت المقدس لقتال العدو، قال: إنَّ الله ممتحنكم على الصبر والطاعة بنهر عبرونه، فمن شرب منه فليس من أتباعي، ومن لم يشرب منه فإنه من أتباعي، إلا من أخذ بيده قليلاً من الماء

فلا حرج عليه، فشربوا منه وعصوا الأمر إلا قليلاً منهم، وعددهم ثلاثة وبضعة عشر، بعدد أصحاب بدر رض، فلما عبر طالوت النهر ومعه هذه القلة ورأوا كثرة عدد العدو قال بعضهم: لا قدرة لنا على قتال الطاغية جالوت وجيشه الكثير. فرد المؤمنون بلقاء الله: كم من جماعة قليلة صابرة انتصرت على جماعة كبيرة بمشيئة الله، والله مع الصابرين بنصره وتوفيقه.

قال البراء رض: حدثني أصحاب محمد ص مَنْ شهد بدرًا أَنَّهُمْ كَانُوا عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر: بضعة عشر وثلاثة. قال البراء: «لَا وَاللهِ مَا جَازَ مَعَهُ النَّهَرُ إِلَّا مُؤْمِنٌ».

(صحيف البخاري - كتاب المغازي، باب عدّة أصحاب بدر / ٢٩٠ برقم ٣٩٥٧).

٢٥٠ - ولما ظهرت الفئة المؤمنة للطاغية جالوت وجيشه في ميدان القتال دعوا الله: ربنا أَنْزِلْ عَلَى قلوبنا صبراً عظيماً، وثبتنا في ميدان القتال، وانصرنا على القوم الكافرين.

٢٥١ - فاستجاب الله دعاءهم فنصرهم، وهزموا جيش جالوت بإذن الله، وقتل داود رض جالوت، قائد جيش الكفرة، وداود هو أحد جنود طالوت، وهو والد سليمان رض، ثم أعطى الله داود الملك والنبوة فيبني إسرائيل، وعلمه ربه مما يشاء من العلوم، ولو لا أن يدفع الله شر الأشرار بجهاد الأخيار لفسدت الحياة، ولكن الله ذو فضل على المخلوقين جميعاً.

٢٥٢ - هذه آيات الله العالية القدر التي قصصناها عليك أيها الرسول بالصدق بواسطة جبريل رض، وإنك من المرسلين الصادقين حقاً.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - أهمية اختبار الجندي عند المواقف الحاسمة.
- ٢ - وجوب طاعة الجندي لقائدهم الشرعي وإلا تعرضوا للهزيمة.
- ٣ - فضل الدعاء في المعركة بالصبر والتثبت ثم النصر.
- ٤ - بشري للفئة المؤمنة بالنصر، وإن قل عددها وعدتها.
- ٥ - من حكمة الله تعالى أن يسلط على القوي مَنْ هو أقوى منه، فيهزم منه، ويسلط على الطاغية مَنْ هو أقوى منه.

٦ - إِنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْعِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ دَفْعَهِ
سَبْحَانَهُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِعِصْمَهُ، فَيَرِدُ شَرُّ الْأَشْرَارِ بِجَهَادِ الْأَخْيَارِ.

٧ - تثبيت الله لرسوله ﷺ بما يُنزل عليه من آياته **البيانات**.

﴿تَلَكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيْنَتُ وَلَكِنَّ أَخْتَلَفُوا فِيمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعُدُ فِيهِ وَلَا خُلَةٌ وَلَا شَقْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا يَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ وَلَا يَغُودُهُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ عَلَىٰ الْعَظِيمِ ﴿٢٥٥﴾﴾

التفسير:

٢٥٣ - أولئك الرسل - أصحاب المنازل العالية - فَضَلَّ الله بعضهم على بعض ، فمنهم مَنْ كَلَمَ الله ، كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ورفع بعض الرسل درجات عالية ، كإبراهيم وإدريس ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، وأعطى عيسى ابن مريم المعجزات العظيمة ، وأيده بجرييل . ولو أراد الله ما اقتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل من بعد مجيء الأدلة والمعجزات ، ولكن اختفت أُمم الأنبياء حتى اقتتلوا : فمنهم مَنْ صدق بالله ، ومنهم مَنْ جحده . ولو أراد الله ألا يقتتلوا ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد أن يفعله .

٢٥٤ - يأمر الله المؤمنين بالإإنفاق في شتى طرق الخير من مال الله الذي منحهم إياه ، فيأمرهم بدفع الزكاة والصدقات قبل محى يوم القيمة الذي

لَا تُسْتَطِعُونَ أَنْ تَفْدُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ بِمَالٍ، وَلَا تَجْدُونَ حَبِيبًا يُدْفَعُ عَنْكُمْ
الْعَذَابُ، وَالْمُكَذِّبُونَ بِاللَّهِ هُمُ الْمُعْتَدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ.

٢٥٥ - فضل آية الكرسي:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر، أتدرى أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر، أتدرى أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليهنيك العلم أبا المنذر».

(صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي برقم .٨١٠).

ومن فضلها: أنَّها إذا قرئت عند النوم فإن قارئها لا يقربه شيطان حتى يصبح، ويبقى محفوظاً بحفظ الله تعالى. (أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الصحيح، كتاب الوكالة، باب إذا وَكَلَ رجل فترك الوكيل شيئاً برقم ٢٣١١).

التفسير:

الله هو الذي له جميع معاني الألوهية، ولا يستحق العبودية إلا هو، الحي الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء، لا يعتريه نعاس، ولا يغله نوم، مالك جميع ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يملك أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، يحيط علمه ما بين أيدي الخلق من الأمور المستقبلية، وما خلفهم من الأمور الماضية، ولا يَطْلَعُ أحد من الخلق على شيء من علمه إلا بما أعلمه الله، وكرسيه العظيم الذي هو موضع القدمين وسع السموات السبع والأرضين السبع، ولا يثقله سبحانه حفظ السموات والأرض، وهو العلي بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته، العظيم الذي اجتمعت فيه جميع صفات العظمة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ الكرسي موضع القدمين. (أخرجه وكيع في تفسيره كما صرَّح ابن كثير في التفسير، وأخرجه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢٨٢/٢) وذكره الهيثمي ونسبه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٦/٣٢٦).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير التفاضل بين الرسل .
- ٢ - التعجب والتحذير من فعل الأمم في التقاتل .
- ٣ - وجوب الإنفاق في سبيل الله تعالى .
- ٤ - فضل آية الكرسي وفائدها في الرقية .
- ٥ - دَلَّت الآية على تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى .
- ٦ - جملة ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةً وَلَا نَوْمًا﴾ مقررة لمضمون جملة (الله الحي القيوم) ، فالجملة منزلة منزلة البيان لمعنى الحي القيوم؛ ولذلك فصلت عن التي قبلها .
- ٧ - الاستفهام في قوله : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ مستعمل في الإنكار والنفي بقرينة الاستثناء منه بقوله : ﴿إِلَّا يَأْذِنُهُ﴾ .
- ٨ - قوله : ﴿وَسَعَ كُرْسِيُهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ تقرير لما تضمنته الجمل كلها من عظمة الله تعالى وكبريائه وعلمه وقدرته ، وبيان عظمة مخلوقاته المستلزمة عظمة شأنه .
- ٩ - على المؤمن بالله تعالى أن يستشعر عظمة الخالق ﷺ فيما دَلَّت عليه هذه الآية العظيمة (آية الكرسي) ، وأن يتحقق العبودية الخالصة له ﷺ من خلال أسمائه وصفاته العليا ، وقد اشتغلت هذه الآية على أعظمها ، وكانت بذلك أعظم آية في القرآن الكريم .

﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّلْعُوتِ وَيُؤْمِنْ بِإِلَهٍ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعِرْقَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفَصَامَ لَهَا وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الدِّينِ إِنَّمَا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الظَّلْعُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الظَّلَمَاتِ هُمْ فِيهَا حَدِيثُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحِيِّ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحِيِّ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْنِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَسْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِيْنَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّ يُحِيِّ هَذِهِ الَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا تِهَّهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعْتَهُ، قَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتَكَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَاءَلْ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَا جَعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٢٥٦ - سبب النزول:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجلت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله سبيل: ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. قال أبو داود: «المقلات: التي لا يعيش لها ولد». (آخرجه أبو داود في السنن ٣/٥٨ - كتاب الجهاد - باب في الأسير يكره على الإسلام. وأخرجه ابن حبان (الإحسان ١/٣٥٢، برقم ١٤٠) وقال محقق الإحسان: «إسناده صحيح على شرطهما». وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود برقم ٢٣٣٣).

التفسير:

لا تجبروا أحداً على الدخول في الإسلام، فدلائله يتضح بها الحق من الباطل، فمن يجحد بكل ما عُبِدَ من دون الله ويصدق بالله، فقد استقام على دين الإسلام، واستمر عليه. والله سمِيع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.

قال ابن عاشور: «تعقيب آية الكرسي بهاته الآية بمناسبة أن ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلائل الوحدانية وعظمة الخالق، وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه». (التحرير والتنوير ٤٩٩/٢)

٢٥٧ - الله سبحانه ناصر الذين صدّقوا بالله ورسوله، يخرجهم من الضلال إلى الهدى، والذين كذبوا الله ورسوله يقودهم الشيطان، فيخرجهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر. أولئك البداء عن رحمة الله تعالى هم الملازمون للنار الدائمون فيها أبداً.

٢٥٨ - يقصُّ الله تعالى على رسوله محمد ﷺ القصة العجيبة التي وقعت بين إبراهيم عليه السلام والنمرود بن كنعان: ألم تعلم بالذي جادل إبراهيم في توحيد الله تعالى وربوبيته؛ لأنَّ الله تعالى أعطاه الملك فتجبرَ، وسأل إبراهيم: مَنْ ربك؟ فأجابه: ربِّي الذي يحيي الخائق ويميتها. قال زاعماً: أنا أحسي وأميته، أي: أقتل من أردت قتله، وأستبقي من أردت استبقاءه. فرداً عليه إبراهيم: إِنَّ اللَّهَ يطْلَعُ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشْرَقِ، فَأَطْلِعْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَتَحِيرَهُمْ هَذَا الْكَافِرُ وَأَفْحَمُوهُمْ وَاللَّهُ لَا يهْدِي الظَّالِمِينَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. أخرج آدم بسنده الصحيح عن مجاهد قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّيهِ أَنْ أَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، قال: هو نمرود بن كنعان.

٢٥٩ - أو هل علمت - أيُّها الرسول - مثل الذي مرَّ على بلدة خالية من السُّكَّانِ، خاوية من البناء، فقال: كيف يحيي الله هذه البلدة بعد موتها؟ فأماته الله مئة عام ثمَّ أحياه، وأرسل إليه مَنْ عنده علم بحال هذا الرجل. قال: كم بقيت في هذا المكان؟ قال: بقيت يوماً أو بعض يوم. فأخبره الحقيقة بأنه بقي ميتاً مئة عام، وطلب إليه أن ينظر إلى طعامه وشرابه، فإذا هو لم يتغير، وأن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظاماً متناثرة؟ ولن يكون مثلاً مُشاهداً دليلاً علىبعث بعد الموت، وانظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض، وننصُّم أجزاءها، ثم نسترها باللحام، ثم نعيد إليها

الحياة؟ فلما رأى ذلك رأي العين تيقن أنَّ الله على كل شيء قادر، ومن ذلك: البعث.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ تقرير حرية الاعتقاد، فلا إجبار على إدخال الناس في الإسلام، ولكن بعضهم استدل بهذه الآية على أنَّ لكل فرد الحرية في أن يختار أي دين، وهذا مجانب للصواب، ولا ينطبق على المسلمين لأنَّها رِدَّةٌ محضرٌ، وكفر صريح.
- ٢ - وأشارت الآية إلى أن هذه فائدة المؤمن من تنفعه في دنياه بأن يكون على الحق وال بصيرة، وذلك مما تطلب النفوس، وأشارت إلى فائدة ذلك في الآخرة بقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ الذي هو تعريض بال وعد والثواب.
- ٣ - الآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك، وأما ما نُهِيَ عنه من الجدل فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل والخطأ.
- ٤ - بشرى الله تعالى بنصره للمؤمنين.
- ٥ - تقرير عقيدة البعث وقدرة الله تعالى على إحياء الموتى.
- ٦ - في القصة موعدة عظيمة.
- ٧ - ينظر: صورة منطقة النمرود وما فيها من الأوثان، كما في الملحق.
- ٨ - ينظر: صورة النخل، كما في الملحق.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْبِنِي كَيْفَ تُحِيِّ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَّ
قِلْيَىٰ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيَّكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
أَدْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا وَاعْنَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثُلُّ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ كَمَثُلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَ سَبَعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُصْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَسْعَونَ مَا أَنْفَقُوا مَمَّا وَلَآذِي
لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ
مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعَّهَا أَذْيٌ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَأْبِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُطْلُو صَدَقَاتِكُمْ
بِالْمِنْ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَا لَهُ رِثَاءُ النَّاسِ وَلَا يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ فَمَثَلُهُ كَمَثُلِ
صَفَوَانِ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَأَيْلُ فَرَّكَهُ، صَلَدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مَمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكُفَّارِ ﴿٢٦٤﴾

التفسير:

٢٦٠ - واذكر - أيها الرسول - حين طلب إبراهيم عليه السلام إلى ربّه أن يريه كيفية البعث ، فأجابه الله تعالى : أَوْلَمْ تصدق؟ قال : بلى ، ولكن سألت ذلك ؛ ليزداد يقيني باجتماع الرؤية والإيمان. قال : فخذ أربعة طيور ، فضمهن إليك وادْبُحْهُنَّ وَقْطَعْهُنَّ ، ثم اجعل على كل جبل منها جزءاً ، ثم نادهنَّ ، يجيئن إليك مسرعات. فنادي إبراهيم ، فإذا كل جزء يعود إلى موضعه ، وإذا بها تأتي مسرعة. واعلم أن الله عزيز في ملكه ، حكيم في تدبيره. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم : «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْبِنِي كَيْفَ تُحِيِّ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَّ
قِلْيَىٰ». ١. هـ . وعلى هذا فإن إبراهيم لم يشك ، وإنما أراد التأكيد والاطمئنان ». (صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة البقرة - باب ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٤٩/٨ برقم ٤٥٣٧).

٢٦١ - يحث الله تعالى على إنفاق الأموال في سبيل الله ، فيُشَبِّهُ الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بزارع حَبَّةٍ أَنْبَتَ سَبَعَ سَنَابِلَ فِي ساقٍ وَاحِدٍ ،

في كل سنبلة مئة حبّة، والله يضاعف عطاءه لمن يشاء. والله واسع الفضل، عليم بأقوال وأفعال عباده.

٢٦٢ - يمدح الله الذين يعطون من أموالهم في الخير والبر، ثم لا يعقبون ذلك بالمن والأذى، كالتحدث عن مقدار العطاء ونحوه، والإساءة بالقول أو الفعل، فهو لاء الذين اجتمعوا فيهم هذه الصفات لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم عند الحساب، ولا هم يحزنون على شيء من حطام الدنيا.

٢٦٣ - كلام حسن، ودعاء الرجل لأخيه المسلم، وستر منه عليه؛ لما علِم من سوء حالته، خيرٌ من صدقة يعقبها إساءة من قول أو فعل مكروه. والله غني عما يتصدقون به، حليم لا يعاجل العقوبة.

٢٦٤ - يا أيها الذين صدّقوا بالله ورسوله، لا تحبطوا ثواب صدقاتكم بسبب المن على القراء وأذاهم بالقول أو الفعل، كالمنافق المرائي الذي ينفق ماله ليحمدده الناس، وهو لا يصدق بالله ولا بيوم القيامة. فمثل هذا كمثل حجر أملس عليه تراب، فهطل عليه مطر غزير، فأزال عنه التراب، وبقي أجرد لا ينبع شيئاً، فكذلك هؤلاء المراوون تضمحل أعمالُهم عند الله، ولا يجدون شيئاً من الثواب على إنفاقهم. والله لا يهدي المكذبين بالله إلى الحق.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٢٦١) إخبار عن أمر مستقبلي عن ثواب الله تعالى لمن ينفق في سبيله، ومضاعفة ذلك الثواب.

٢ - قوله: ﴿مَثُلُّ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تشبيه حال جزائهم وبركتهم.

٣ - جملة ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ إلى آخرها مستأنفة استئنافاً بيانياً، وتنكير ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ للتقليل، أي: أقل قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى.

٤ - فضل الله تعالى على عباده بمضاعفة الحسنات أضعافاً كثيرة تبلغ سبعين ضعف، ومن فضله أيضاً أنه لا يضاعف السيئات.

٥ - التحذير من التمن على القراء والمحتاجين فإنه يُبطل العمل، ويتحقق الثواب.

٦ - الكلمة الطيبة أفضل من الصدقة المصحوبة بإساءة.

٧ - خطر الرياء؛ فإنه محبط للأعمال.

٨ - المنافق المؤمن لا يُتيح نفقة متنًا ولا أذى، بل يجعلها بالكلمة الطيبة المظيرة لمساعر الأخوة والمحبة في تواعض واحترام للمنافق عليه.

﴿وَمَثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَبْيَاكَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهُ وَتَبَّعَتَا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمْثُلٍ جَنَّكُمْ بِرَبِّوَةٍ أَصَابَهَا وَأَبْلَى فَإِنَّ أَكُلَّهَا ضَعْفَيْنِ فَإِنَّ لَمْ يُصْبِهَا وَأَبْلَى فَطَلْلٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ تَخْيِلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَانَهُرُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّرَّاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبْرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضَعْفَاهُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَفَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَبَبَتْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجَنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْعَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُ بِغَازِيٍّ إِلَّا أَنْ تُعْمِلُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةً أَوْ نَدَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَمِيدٌ ﴿٢٧١﴾

التفسير:

٢٦٥ - وصفة الذين ينفقون أموالهم طلباً لرضا الله، وثقةً من أنفسهم بصدق وعده، تشبه الحديقة الواقعة في أرض مرتفعة، هطلت عليها أمطار غزيرة، فتضاعف ثمرها، وإن لم تسقط عليها الأمطار الغزيرة فمطر خفيف يكفيها. والله بكل ما تعلمون بصير.

٢٦٦ - قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «فيم ترون هذه الآية

نزلت: ﴿أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةً﴾؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا بن أخي قل ولا تُحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجلٍ غني ي عمل بطاعة الله ﷺ، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله». (الصحيح برقم ٤٥٣٨ - تفسير سورة البقرة، باب قوله: ﴿أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةً﴾).

هل يحب أحدكم أن يكون له بستان حافل بأشجار النخيل والعنب، تجري من تحت أشجاره المياه العذبة، وله فيه من كل أصناف الثمرات، وأدركته الشيخوخة، وله أولاد صغار في حاجة إلى البستان، فأصابته عاصفة شديدة فيها نار فأحرقته؟ وهذا تشبيه بحقيقة المرائي وهي تضيع يوم القيمة. مثل ذلك يوضح الله لكم الآيات لكي تتأملوا، فتخلصوا في نفقاتكم.

٢٦٧ - سبب النزول:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قول الله ﷺ: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قال: «نزلت في الأنصار، كانت الأنصار تُخرج إذا كان جذاد النخل - من حيطانها أقناء البسر، فيعلقونه على حد رأس أسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيكأكل منه فقراء المهاجرين، فيعدم أحدهم فيدخل قنوا الحشف، يظن أنه في كثرة ما يوجد من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُ بِغَازِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْضُوا فِيهِ﴾ يقول: لو أهدى لكم لم تقبلوه إلا على استحياء من صاحبه...». (هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك ٢/٢٨٥).

التفسير:

يأمر الله تعالى المؤمنين أن يتصدقوا من أطيب مالهم الذي كسبوه، وممّا رزقهم الله من الأرض، كالزرع والثمار والمعادن، ونهامهم عن تعمّد الرديء منه؛ لأنهم لو أعطوه لم يأخذوه إلا إذا تساهلو، بغض النظر عنه زهداً فيه، فكيف تؤذون منه حق الله؟! واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم، محمود في جميع أفعاله وأقواله.

٢٦٨ - الشيطان يُخوّفكم الفقر إذا أنفقتم أو قصدتم الإنفاق، ويأمركم بالمعاصي، والله تعالى يعذكم على إنفاقكم غفراناً لمعاصيكم ورزقاً واسعاً. والله واسع الفضل، عليم بالأعمال والأقوال.

٢٦٩ - يرزق الله الإصابة للحق مَن يشاء من عباده، ومَن حظي بذلك فقد أعطاه الله خيراً عظيماً، وما يتعظ بهدا إلا أصحاب العقول السليمة.

٢٧٠ - وما بذلت من مال، كثيراً كان أو قليلاً للصدقة، أو الزمتم أنفسكم شيئاً من مال أو عمل صالح فإن الله يعلمه ويُحصيه ويثبtkم عليه. وليس للذين يتعدون على الحقوق من أنصار يوم القيمة.

٢٧١ - إن تُظهروا صدقاتكم خالية من الرياء فذلك محمود لكم، وإن تعطوهها الفقراء سرّاً فهو خير لكم من إظهارها، وهذه الصدقات تمحو الذنوب. والله بكل ما تعلمون خبير.

الفوائد والاستنباطات:

١ - بيان أهمية كفاية الماء ودوره في زيادة الإنتاج، إذ إن واحداً لا يغطي الحاجة المائية للجنة وزروعها وأشجارها طوال مواسم النمو والأزهار والأثمار والضروج. (تأثير التعرية المطرية في التربية، ص ٩).

٢ - أثبت العلم الحديث أن الندى له دور مهم في حياة النبات، حيث إن هناك مدةً مائياً لن ينقطع، وهو الندى الذي تعتمد عليه النباتات أكثر من اعتمادها على مياه الأمطار في بعض البيئات؛ لكونها تستطيع أن تمتلك قطرات الماء المتكتافنة على سطح أوراقها، ولما له من أهمية كبرى، فإنَّ الوسائل التكنولوجية الحديثة اتجهت إلى إنشاء مصادر للضباب في سقایة مزروعات المناطق الجافة. (أهمية الندى (الطل): من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة تركيا ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ص ١).

٣ - يقرر العلماء أن البيئة المثلثى لزراعة أشجار الشمار هي بيئه «الروابي»، حيث إنها أراضٍ مسطحة مرتفعة دون الجبل وفوق التل، وهذه حقيقة علمية أثبتتها التجارب على مدى عقود متتالية. (إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران يحيى وزيري، ص ١٦٣).

٤ - يقول الخبراء: إنَّ الإعصار يهاجم الأرض فجأة فلا يُبقي ولا يذر،



ويصاحب الإعصار نار، وذلك من جراء التقاء شحنات كهربائية مرتفعة القيمة والجهد مع الأشجار والجبال والموارد، فيكون لمرور التيار الشديد في الأجسام التي تقابله وتقاومه شرارة هائلة يحترق بها كل ما يصادفها. (الإشارات العلمية في القرآن الكريم: علم النبات في القرآن الكريم: الدكتور السيد عبد الستار المليجي ص ١٠٦ - ١٠٧).

٥ - بيان فضل الإنفاق في التكافل الاجتماعي؛ لأنَّ المجتمع المؤمن يَتَسَمُّ بالإنفاق والتَّكافل.

٦ - ينبغي أن يكون الإنفاق من المال الحلال الطيب.

٧ - لا يجوز إخراج الرديء من المال أو الطعام.

٨ - أثبت العلم الحديث أنَّ هناك أنواعاً من الأعغان تُفرِز في الثمار المريضة أنواعاً من السموم الفطرية تُعرف باسم (افلاتوكسين) تسبب للإنسان سرطانات خطيرة وأمراضًا مستعصية. (الإشارات العلمية في القرآن الكريم: علم النبات في القرآن الكريم: الدكتور السيد عبد الستار المليجي ص ١١٠).

٩ - التحذير من وساوس الشيطان في التشبيط والإغواء.

١٠ - الحكمة موهبة من الله تعالى.

١١ - فضل صدقة السر، وجواز الصدقة في العلن، شرط ألا يشوبها رباء.

١٢ - الإنفاق مهما كان قليلاً فإنَّ أجره عند الله ثابت.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى لَهُمْ وَلَا كَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَسِّكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾
 ﴿لِفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَيِّئِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِعُونَ ضَرَبًا فِي الْأَرْضِ
 يَحْسُبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّقْفِ تَعْرُفُهُمْ سِيمَهُمْ لَا يَسْعُونَ النَّاسَ
 إِلَحْافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾٢٧٣﴾
 ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
 يَالَّيلَ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عَنْ دَرِبِهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴾٢٧٤﴾
 ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ
 الْمَسَّ ذَلِكَ إِنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ
 رَبِّهِ فَأَنْهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ
 ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَشِمَّ ﴾٢٧٥﴾

٢٧٢ - سبب النزول:

عن ابن عباس رض قال: كانوا يكرهون أن يعطوا لأنسبيهم من المشركين، فسألوا فرّحص لهم، فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى لَهُمْ وَلَا كَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَسِّكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

(أخرجه النسائي في التفسير ١/٢٨٢ برقم ٧٢. وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (برقم ٣٢٤٢)، والطبراني في الكبير (١٢/٥٤ برقم ١٢٤٥٣)، والحاكم في المستدرك (٢٨٥/٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٦/٣٢٤) في رواية البزار: ورجالة ثقات. وقال ابن حجر في (مختصر زوائد البزار ٢/٧٥ برقم ١٤٥٠): صحيح).

التفسير:

يُخَفِّفُ الله تعالى عن نبِيِّهِ مُحَمَّدَ صلوات الله عليه في دعوته للكفار، بأنَّك لست مسؤولاً عن توفيقهم للهداية، ولكنَّ الله يوفق من يشاء لهدايته إلى الإسلام، وما تبدلوا - أيُّها المؤمنون - من مال، كثيراً كان أو قليلاً، فلأنفسكم ثوابه، والمؤمنون لا ينفقون إلا طلباً لرضا الله، وما تنفقوا من مال فثوابه يكون لكم مضاعفاً، لا تُقصون شيئاً من ذلك.

٢٧٣ - قَدِّمُوا صَدَقَاتِكُمْ لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ حَبَسُوا أَنفُسَهُمْ لِلْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ لِتَطْلُبِ الْعِلْمِ، إِذَا لَا يُسْتَطِعُونَ السَّفَرَ طَلَباً لِلرِّزْقِ، يَظْنُهُم مَنْ لَا يَعْرِفُهُمْ غَيْرُ مُحْتَاجِينَ إِلَى الصَّدَقَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ، تَعْرِفُ فَقْرَهُمْ مِنْ عَالَمَاتِ الْحَاجَةِ عَلَيْهِمْ، لَا يَطْلُبُونَ الْعُوْنَ، وَإِذَا طَلَبُوا لَمْ يُلْحَوْا بِالسُّؤَالِ. وَمَا تَنْصَدِقُوا بِهِ مِنْ مَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَاللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، وَسِيَجَازِيْكُمْ عَلَيْهِ.

قال الشيخ الشنقطي: «لم يبين هنا سبب فقرهم، ولكنه بين في سورة الحشر أن سبب فقرهم هو إخراج الكفار لهم من ديارهم وأموالهم بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَفَقَّهُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرَضِّوْنَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَصَدِقُونَ﴾».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس المiskin بهذا الطواف الذي يطوف على الناس، فترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان». قالوا: وما المiskin يا رسول الله؟ قال: «الذى لا يجد غنى يُغنى. ولا يُفطن له، فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً». (صحيح مسلم - الزكاة، باب المiskin الذي لا يجد غنى ٢١٩ / ٢ برقم ١٠٣. وصحيح البخاري - التفسير، باب لا يسألون الناس إلهاجاً ٢٠٢ / ٨ برقم ٤٥٣٩).

٢٧٤ - الَّذِينَ يُقْدِّمُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّ وَقْتٍ، لِيَلَّا وَنَهَارًا، خَفْيَةً وَجَهَارًا، فَلَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَلَا يَحْزُنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

٢٧٥ - يَحْذِرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَبَالِ أَكْلِ الرِّبَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ - وَالرِّبَا هُوَ مَا زَادَ عَلَى مَقْدَارِ الْقَرْضِ أَوِ الْبَيْعِ - فَيُخْبِرُ أَنَّ الَّذِينَ يَتَعَامِلُونَ بِالرِّبَا لَا يَقُومُونَ مِنْ قَبْوِرِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَصْرُعُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْجَنُونِ، ذَلِكَ بِسَبِبِ قَوْلِهِمْ: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، أَيْ: كَلاهُمَا حَلَالٌ، فَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْفَرْقِ بَيْنِهِمَا، فَقَدْ أَحَلَّ الْبَيْعَ وَحْرَمَ الرِّبَا؛ لِمَا فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ مِنْ نَفْعٍ لِلْعَبَادِ، وَلِمَا فِي الرِّبَا مِنِ الْأَسْتَغْلَالِ وَالضَّيْعَ. فَمَنِ اتَّعَظَ بِالنَّهِيِّ عَنِ الرِّبَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَأَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَنِ رَجَعَ إِلَى الرِّبَا مُعْتَقِدًا حِلَّهُ فَأُولَئِكَ الْبَعْدَاءُ عَنِ الْحَقِّ مَلَازِمُونَ لِلنَّارِ، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

٢٧٦ - يُنْقَصُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُذَهَّبُ بِرَبْكَتِهِ، وَيُبَارِكُ فِي الْمَالِ الَّذِي أَخْرَجَتْ صَدَقَتِهِ. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُتَمَادٍ بِالْكُفْرِ وَالْإِثْمِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - أحقُّ النَّاسِ بِالصَّدَقَةِ الْفَقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ، بَلْ يَتَعَفَّفُونَ.
- ٢ - الدَّاعِيَةُ غَيْرُ مَكْلُوفٍ بِأَنَّ يَهْتَدِيَ الْمَدْعُوُ؛ فَإِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْهُدَايَةِ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٣ - بِشَارَةُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُنْفَقِينَ بِعَظِيمِ أَجْرِهِمْ عِنْدَ وَاطْمَئْنَانِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا حَزْنٌ.
- ٤ - خَطَرُ أَكْلِ الرِّبَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- ٥ - تحريرِ الرِّبَا، وَجُوازُ الْبَيْعِ الَّذِي يَعُودُ نَفْعَهُ عَلَى الْبَائِعِ وَالْمُشْتَريِ.
- ٦ - مَنْ يَتَبَّعُ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبِلُ تَوْبَتَهُ، وَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَلَالٌ وَيُنْكِرُ تحريرِهِ، فَإِنَّ النَّارَ مَثَوَاهُ خَالِدًا فِيهَا !

٢٧٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكُوَةَ لَهُمْ أَجْرٌ هُنَّ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَوْنَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَنَا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقَىٰ مِنَ الْرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ إِنَّمَا تَفْعَلُو فَإِذَا نُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرْهُ إِلَىٰ مَيْسَرٍ وَإِنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَآتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤْتَنَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

التفسير:

٢٧٧ - يخبر الله تعالى أن المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله وأحسنوا عملاً، وأدوا الصلاة في أوقاتها بشروطها وأركانها، وأخرجو زكاة أموالهم، لهم ثواب عظيم عند ربهم، ولا خوف عليهم يوم الحساب، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حطام الدنيا.

٢٧٨ - يُبَشِّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ خَافُوا اللَّهَ، وَاتَّرَكُوا طَلْبَ مَا بَقِيَ لَكُمْ مِنْ زِيادةٍ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَانَتْ لَكُمْ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّبَا، إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

٢٧٩ - إِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَنِ التَّعَامِلِ بِالرِّبَا فَكُونُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكُمْ فِي حَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ لِلْعِقْوَبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ رَجَعْتُمْ عَنِ اكْلِ الرِّبَا فَلَكُمْ أَخْذُ مَا أَقْرَضْتُمْ دُونَ زِيادَةٍ، لَا تَعْتَدُونَ عَلَى أَحَدٍ بِأَخْذِ مَا زَادَ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَيْكُمْ أَحَدٌ بِنَقْصِ مَا أَقْرَضْتُمْ.

٢٨٠ - وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَدِينَ مُعْسِرًا غَيْرَ قَادِرِ عَلَى وَفَاءِ الدِّينِ فَأَمْهَلُوهُ إِلَى وَقْتِ الْيِسَرِ، وَإِنْ تَنَازَلْتُمْ عَنِ الدِّينِ أَوْ عَنْ بَعْضِهِ فَهُوَ أَفْضَلُ لَكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَضْلَ ذَلِكَ.

٢٨١ - وَخَافُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ لِيَحِسِّبَكُمْ، فَيَجِازِي كُلَّ فَرَدٍ بِمَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، دُونَ نَقْصٍ فِي الْثَوَابِ، وَلَا زِيادةً فِي الْعَقَابِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - فضل إمهال المعاشر عظيم عند الله تعالى. عن حذيفة رض قال: قال النبي صل: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحُ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتَ آمِرَ فَتِيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَازُوا عَنِ الْمُوْسَرِ». قال: فَتَجَازُوا عَنْهُ». (صحيف البخاري ٤٠٧٧ برقم ٣٠٧ - البيوع، ٩ باب من أنظر موسراً).

٢ - عن ابن عباس رض قال: «آخر آية نزلت على النبي صل آية الرِّبَا». (صحيح البخاري برقم ٤٥٤٤ - تفسير سورة البقرة، باب ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وعلق الحافظ ابن حجر بقوله: وأخرج هذا الحديث بهذا اللفظ، ولعله أراد أن يجمع بين قوله ابن عباس فإنه جاء عنه ذلك من هذا الوجه).

وجاء عنه من وجه آخر: آخر آية نزلت على النبي صل ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أخرجه الطبرى من طرق عنه، وكذا أخرجه من طرق جماعة من التابعين وزاد عن ابن جرير قال: يقولون إنه مكت بعدها تسع ليال. ونحوه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، وروى عن غيره أقل من ذلك وأكثر فقيل: إحدى وعشرين، وقيل:

سبعاً. وطريق الجمع بين هذين القولين: أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن. (الفتح ٢٠٥/٨).

٣ - استرداد رأس المال من المدين بلا زيادة ولا نقصان عدالة.

٤ - وجوب إنتظار المعسر، وفيه رعاية للمعسرين.

٥ - أسلوب الترغيب من أساليب القرآن التربوية للنفوس في حثها على الصالحات، وإبعادها عن السيئات.

٦ - التذكير بالآخرة وما فيها من الحساب والوفاء من أساليب القرآن التربوية في إصلاح النفوس.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانِيتُم بِدِينِ إِلَى أَجْكِلٍ مُسْكَمَ فَاقْتُلُوهُ وَلَيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ
كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَمَهُ اللَّهُ فَلَيَكْتُبْ وَلَيُمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ
الْحَقُّ وَلَيَقُلَّ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ
لَا يَسْتَطِعَ أَن يُمْلِلَ هُوَ فَلَيُمْلِلَ وَلَيُكْتَبَ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا
رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَ كَانَ مِنْ أَشْهَدَيْنِ أَن تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَنُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا
الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهِيدَيْنِ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا سَمُوا أَن تَكْنُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجْلِهِ
ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِشَهَدَةِ وَأَدْنَى أَلَا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً
تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيَسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَا تَكْنُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايعُتُمْ وَلَا يُضَارَّ
كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ
يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ ﴿٢٨٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَقْرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فِرَهَنٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَنْ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلَيُؤْدِي الَّذِي أُوتُنَّ أَمْنَتْهُ وَلَيَقُلَّ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا تَكُنُمُوا الشَّهَدَةَ وَمَنْ
يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ظَالِمٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾

التفسير:

٢٨٢ - يا أيها المؤمنون، إذا أقرض بعضكم بعضاً إلى وقت معلوم وجب أن تكتبوه، وليكتب عقد القرض كاتب عادل بالحق، ولا يمتنع كاتب من

الكتابة حسب شرع الله، وليقم المستدين بإملاء ما عليه من الدين، وليخفف الله ربّه، ولا ينقص من دينه شيئاً.

قال الشيخ الشنقيطي: «ظاهر هذه الآية الكريمة أنَّ كتابة الدين واجبة؛ لأنَّ الأمر من الله يدل على الوجوب، ولكنه أشار إلى أنه أمر إرشاد لا إيجاب بقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاذِبًا فِيهِنَّ مَقْبُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٨٣]؛ لأنَّ الرهن لا يجب إجماعاً، وهو بدل من الكتابة عند تعذرها في الآية، فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً. وصرَّح بعدم الوجوب بقوله: ﴿فَإِنْ أَمَّنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلَيُؤْدِيَ الدَّيْرَى أُؤْتُمَنَ أَمْتَنَهُ﴾».

فإن كان المستدين سيء التصرف، أو كان صغيراً أو مجنوناً، أو لم يقدر على الكلام، فليتوَلَّ الإملاء وليُهُ أو وصيُّهُ، واطلبوا مع الكتابة أن يشهد شاهدان مسلمان عدلان، فإن لم يوجد رجلان فاطلبوا شهادة رجل وامرأتين ترضون شهادتهم، حتى إذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى، ولا يمتنع الشهداء عن أداء الشهادة إذا طُلب منهم ذلك.

ولا تَمْلُوا أن تكتبوا الدين قليلاً كان أو كثيراً إلى وقت حلول موعده. ذلك الذي أمرناكم به أعدل عند الله، وأثبتت للشهادة، وأقرب لا تشکوا في قدر الدين والأجل، إلا إذا كان البيع حاضراً يداً بيد والثمن مقبوضاً فلا بأس بعدم كتابته، وأشہدوا على التباع سواءً كان البيع حاضراً أو ديناً. ومن الواجب على الشاهد والكاتب أداء الشهادة والكتابة على حقيقتها، ولا يجوز للدائنين والمستدينين إلى الحق الضرر بالكاتب والشاهد بالتحريف والتبديل في الكتابة، أو الامتناع من الشهادة، أو تكليفهما بمتشقة كالسفر الطويل.

وإن فعلتم ما نهيتكم عنه فقد خرجتم عن طاعة الله، وخافوا الله، ويعلّمكم الله العلم النافع الذي فيه سعادة الدارين، والله بكل شيء أحاط علمًا سبحانه.

٢٨٣ - وإن كنتم - أيها المتدلين - مسافرين ولم تجدوا كاتباً لعقد المدينة، فليقدم المستدين شيئاً يكون عنده ضماناً لحقه؛ كي يرد المستدين ما عليه من دين، فإن وثق بعضكم ببعض فلا حرج من ترك الكتابة والرهن، وليدفع المستدين للمؤمن دينه المستحق عليه، وليراقب الله ولا يُخْنِي الأمانة،

وَلَا تُخْفِوْ الشهادة أَيْهَا الشهود، وَمَن يُخْفِ الشهادة يَأْثِم وَيَعْاقِبُ. وَالله بِكُلِّ
مَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - وجوب كتابة الدين قليلاً كان أو كثيراً، وتحديد أجله.
- ٢ - وجوب الإشهاد في الدين بргلين من المسلمين، أو رجل وامرأتين.
- ٣ - وجوب استجابة الشهداء إذا دعوا لها.
- ٤ - وجوب الإشهاد على البيع في الأشياء الكبيرة، كالعقار والمزارع.
- ٥ - جواز الرهن في السفر والحضر توثيقاً للدين وضماناً للمال.
- ٦ - آية الدين أطول آية في القرآن الكريم، وهي شاهدة على عظمة التشريع
القرآنی؛ بما فيها من تفصيات دقيقة في أمر الدين والاحتياط للدائن والمدين.

﴿إِلَهٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ
فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾٢٨٤﴿ إِنَّمَا أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلِئَكَهُ وَكَلِيلٍ وَرَسُولٍ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِهِ وَقَاتِلُوا سَمِيعَنَا وَأَطْعَنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾٢٨٥﴿ لَا يُكَفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وُسِّعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ سَيِّئَنَا أَوْ أَخْطَأَنَا رَبَّنَا
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْنَا عَلَى الدِّيْنِ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾٢٨٦﴾

التفسير:

- ٢٨٤ - يخبر الله تعالى أنَّ له ملك السموات السبع والأرضين السبع وما فيهنَّ وما بينهنَّ، وأنَّ المطلَع على كل شيء يفعله العباد مما يظهروننه وممَّا يخفونه في نفوسهم، وسيحاسبهم على ذلك، فيغفو عنْ من يشاء، ويعاقب منْ يشاء. والله على كل شيء قادر، وقد تفضل الله تعالى على هذه الأمة بعد ذلك، فعفا عن حديث النفس من غير فعلٍ.

عن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ - قال: أحسبه ابن عمر - ﴿وَإِنْ تُبْدِوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال: نسختها الآية التي بعدها. (صحيح البخاري برقم ٤٥٤٦ - كتاب التفسير - باب ﴿إِمَّا رَسُولٌ يُمَارِرُ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، وباب ﴿وَإِنْ تُبْدِوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ برقم ٤٥).

٢٨٥ - سبب النزول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدِوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِّبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ، ثم برکوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق. الصلاة والصيام والجهاد والصدقة. وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقتربها القوم ذلت بها ألسنتهم. فأنزل الله في إثرها: ﴿إِمَّا رَسُولٌ يُنَزَّلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمَانٍ بِاللَّهِ وَمَا تَكِيدُهُ وَرَسُولُهُ لَا نَفِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفرانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى. فأنزل الله ﷺ : ﴿لَا يُكَفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَلْنَا﴾ (قال: نعم) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا عَيْنَنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ (قال: نعم) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (قال: نعم) ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِ﴾ (قال: نعم).

(صحيح مسلم ١١٥ / ١١٦ - كتاب الإيمان، باب بيان أنه ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق).

التفسير:

صدق النبي ﷺ بما أوحى إليه من ربه، وصدق به المؤمنون معه، كل فرد منهم صدق بالله ربّاً ومعبوداً بحق، وبملائكته أجمعين، وكتبه المنزلة، ورسله جميعاً بدون تفرقة وإنكار لبعضهم. وقال الرسول والمؤمنون: سمعنا

يا ربنا ما أوصيت به، وأطعنا في ذلك، نرجو أن تغفر لنا ذنبنا، أنت ولينا، وإليك المرجع.

٢٨٦ - لا يأمر الله تعالى عباده بالأمور الشاقة التي هي فوق الطاقة البشرية، وإنما يأمرهم على قدر المستطاع، فمن فعل خيراً نال خيراً، ومن فعل شرّاً نال شرّاً، ويعلم الله عباده الدعاء: يا خالقنا لا تُعذبنا بسبب التسيّان أو الخطأ من غير قصد، ولا تشقي علينا بالأمور الشاقة التي كلفت بها من قبلنا من المعاندين، ربنا ولا تحملنا ما لا قدرة لنا عليه من التكاليف، وسامحنا واستر علينا ذنبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، أنت ولئن أمرنا، فانصرنا على الذين جحدوا دينك.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.
- ٢ - وجوب الإيمان بجميع المرسلين.
- ٣ - وجوب السمع والطاعة للنبي ﷺ.
- ٤ - رحمة الله ﷺ بعباده بآلا يكلفهم فوق قوتهم وقدرتهم، ولا يحاسبهم على ما يدور في خواطرهم إلا ما عزموا عليه، فإنه يحاسبهم عليه.
- ٥ - من رحمة الله ﷺ ألا يؤاخذ الناسي والمخطئ غير العمد. ومن رحمته أن علمنا هذا الدعاء العظيم، وقد بشّر بالاستجابة وضمّنها.

